الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رقم الجرد ٨٥٨٨٥
تاريخ الوصول
رقم الترتيب

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

MAG-309-16/08

جامعة تلمسان — معهد الثقافة الشعبية

الزواج من خلال الأمثال الشعبية بمنطقة تلمسان

رسالة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالبة
قشيوش نصيرة

إشراف
د . عكاشة شايف

السنة الجامعية 1997 - 1998

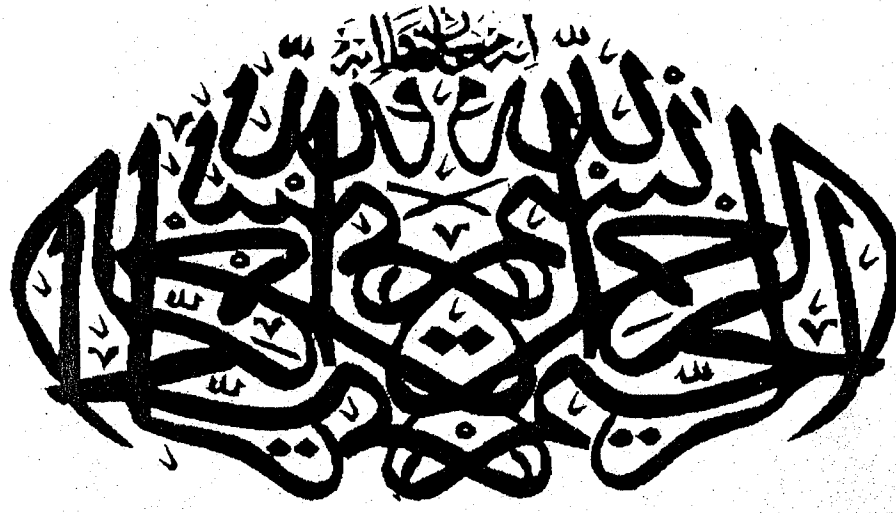

إهداء

إلى أستاذي المشرف الدّكتور عكاشة شايف...

إلى زوجي و ابنتي نهـاد...

إلى أبي و أمّـي و أخواتـي...

إلى كلّ من سـاهم في إنـجاز هذا البحـث...

أهـدي هذا العمل...

الفهرس المفصل

المقدمة:	1
المدخل: الأسرة	7
الفصل الأول: قواعد الزواج	20
أوّلا : أولي الأمر في الزّواج	22
ثانيا : الحسب و النسب .	25
ثالثا : الخلق و الجمال .	32
رابعا : المهارة .	38
خامسا : الزّواج المبكّر	42
سادسا : الخطبة .	46
سابعا : المهر .	49
ثامنا : يوم الزفاف.	57
الفصل الثاني: القبيلة	63
أوّلا : الزّواج الدّاخلي	65
ثانيا : الزّواج الخارجي	70
ثالثا : تعدّد الزّوجات.	74
رابعا : الانجاب	80
خامسا : التنشئة الاجتماعية.	85
الفصل الثالث: صورة المرأة في المثل الشعبي	91
أوّلا : المرأة و الغريزة	93
ثانيا : المرأة غير الصّالحة	100
ثالثا : كيد المرأة.	105
رابعا : المرأة و الغيرة.	109
خامسا : العشرة الزوجية	113.
سادسا : المرأة الزوجة و المجتمع.	119
الخاتمة	124

مقدمة

المثل نتاج قريحة الجماعة، و عصارة خبرتها و تجاربها في الحياة، " فهو شديد الالتصاق بحياة الانسان في جميع حالاتها البسيطة و المعقدّة، إذْ يلتصق بحياة الأفراد و سلوكاتهم في المحيط الاجتماعي، ضمن البيئة الواحدة، كما يلتصق بحياة الانسانية في شكلها العام، عَبْر الزّمان و المكان، لكونه يتحدّث عن مشاكل الانسان من حيث هو إنسان، و يرصُدُ تناقضات هذه الحياة : خيرُها و شرّها، كبيرُها و صَغيرها، كما يلتصق المثل بكلّ ما يعترض النشاط الانساني في الحياة اليومية " .

و على الرغم من صِغَر و لطافة جسمه، فإنّه يفتح أمام الباحثين أبوابا متعدّدة، تمكّنهم من سَبْر أغوار مواضيع متنوعة، تساهم في إثراء الثرات الشعبي. و من ذلك دراستنا هذه و الذي هو " الزّواج من خلال الأمثال الشعبية في منطقة تلمسان"

و قد تظافرت أسباب عدّة، دفعتني إلى الخوض فيه و من أبرزِها:

- شغفي الملح بالتعرّف أكثر على جملة الأمثال الشعبية المتداولة من قبل أفراد العائلة.

- التداول اليومي للأمثال الشعبية الكثيرة و التواجد العفوي لهذه الأخيرة، بحيث طُبعت الحياة العائلية عموما و الزوجية منها على الخصوص.

- و هذا من جملة ما اضطرّني إلى تحديد مجال موضوع البحث في دائرة الزّواج و ما قد يَنجم عنها من سلوكات و تصرّفات، و التي لعلّ المثل الشعبي يكون قد سجّلها لنا بكلّ أمانة و صدق.

كما أرغمتني خصوصية المثل نفسه و واقعيته على حصر البحث في منطقة تلمسان بحكم انتمائي إلى هذه المنطقة ذاتها، و تفاديا لما يعترضني من صعوبة التنقّل و اختلاط ما قد يتشابه منها أثناء جمع الأمثال و استنطاقها في مصادرها بكلّ ما تُمليه عليها العادات و الأعراف التي تخُصُّ الزّواج في هذه المنطقة.

كما أنّه من أهمّ الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع بالذّات هو مكانة هذه الأمثال الشعبية و قيمتها الأخلاقية و ما تلعبة من دور في المجتمع، بحيث تُسْهِمُ في الأمر بفعل الخير و النّهي عن فعل الشرّ.

و هناك العديد من الدّراسات الجامعية تناولت موضوع الأمثال، في بحوث مختلفة، لكنّها لم تتعرّض لموضوع الزّواج بالطّريقة التي نتناولها في بحثنا هذا، إذْ كثيرا ما اكتفت هذه الدّراسات بالإشارة الجزئية إلى هذا الموضوع ضمن موضوعات أخرى تحدّث عنها المثل الشعبي.

كما أنّ ما قد يتميّز به هذا البحث عن البحوث الأخرى هو اعتماده - إلى حدّ ما - على الأمثال المتداولة محليّا و التي لم يتِمّ تسجيلها بعد.

على أنّ محاولة اعتمادي في هذه الدّراسة على الأمثال المتداولة شفاهيا في منطقة تلمسان قد نجمت عنه صعوبات منها :

- غزارة المادة المتداولة و تنوّعها بين سكان هذه المنطقة، ممّا اضطرّني إلى اللّجوء إلى عملية الانتقاء، إذْ يَصعب على الباحث أن يوظّف كل الأمثال التي يدور مضمونها حول موضوع الزّواج، و ما يتفرّع عنه من قضايا.

- ذلك فضلا عن صعوبة جمع الأمثال المتداولة شفاهيا، إذ هي لا تظهر إلاّ من خلال الحديث الذي يدور بين شخصين أو أكثر في مناسبة معيّنة، بخلاف الفنون الشعبية الأخرى كالحكايات الشعبية و الألغاز و النّكت التي يسهل تلقّيها لاحتوائها على عنصر التشويق..، فالأمثال تصدر بالتّواتر مع تداعي الأفكار، ممّا يدعو الباحث إلى أن يكون أكثر فطنة و يقظة في أثناء صُدُوره.

و لقد كان جانب من بحثي ميدانيّا، بحيث كنت أتنقّل هنا و هناك لجمع الأمثال الشعبية إلى أن حصلت على تِسعين مثلا، تلقّيت جُلُّها شفويّا، و أخذت ما بقي منها عن بعض الكتب التي سُجّلت لذلك، ككِتاب قادة بُوتارن (الأمثال الشعبية الجزائرية)، و كتب عبد المالك مرتاض (الأمثال الشعبية الجزائرية، الأمثال الزراعية، عناصر الثّرات الشعبي في اللاّز - دراسة في الأمثال و المعتقدات الشعبية) و ديوان عبد الرحمن مجدوب.

و ما أريد الوصول إليه من طرح هو : هل أنّ معايير و قيم هذه الأمثال لا زالت منهاجا تسير عليه بمنطقة تلسمان، أمْ هي في

طريق الزّوال ؟ و هل أضافت إلى هذه الأمثال صِبْغة أخرى تجعلها تُحافظ على القديم و تواكب الحاضر ؟

و قد اشتملت دراستي هاته على مدخل و ثلاثة فصول تناولتُ في المدخل تعريف الأسرة و أشكالها، و خصائصها، و مدى تطوّرها، بالإشارة إلى النّظام الأبوي و النّظام الأموي (الأموسي) و خصائصهما.

و تتبّعت في الفصل الأوّل – من خلال المثل – شروط الأولياء عند اختيار العروس في منطقة تلمسان و منها على الخصوص : اختيار العروس و الشروط الّتي ينبغي أن تتوفّر فيها تماشيا مع عادات سكّان المنطقة. و يُعدُّ اختيار شريكة الحياة أكثر الاختيارات صعوبة على الاطلاق، إذْ على أساسه تكون الحياة الزّوجية سعيدة أو شقيّة.

أمّا في الفصل الثاني فقد حاولت تعريف القبيلة و دورها الأساسي لتكوين الأسرة سواء أكانت بالزّواج الداخلي أم بالزّواج الخارجي، مع استخلاص مساوئ و محاسن كل منهما، إضافة إلى أنماط ثقافية و اجتماعية أخرى كتعدّد الزّوجات، الانجاب و التنشئة الاجتماعية.

و خصّصت الفصل الأخير لدراسة صورة المرأة في المثل الشعبي و ما تتميّز به فطرتها الانسانية من مكرٍ و خداع و غيره... تنشب عنها صراعات داخل الأسرة الممتدة.

أمّا المنهج الذي اتّبعته في دراسة نصوص النّماذج من الأمثال الشعبية فهو المنهج الوصفي التحليلي، بحيث انصبّ الاهتمام على اقتفاء آثار الوظائف و الخصائص التي يُمكن أن تُؤدّيها الأمثال بين أفراد

المجتمع و ذلك استنادا إلى أرضية تحليل مضامينها و تشريح المعاني التي تنطوي عليها.

و على العموم فإنّ هذا العمل المتواضع هو مجرّد لَبِنة صغيرة تُضاف إلى صَرحِ البحث العلمي، كما قدْ تكون أيضا بذرة لبحوث لاحقة، لأنّ ظاهرة الزّواج في ضوء المثل الشعبي تبقى مجالا مفتوحا لدراسات أخرى.

و أخيرا أشكر النساء اللّواتي ساعدتني في جمع الأمثال، كما أشكر جمعية الثقافة بندرومة الّتي ساهمت هي أيضا في هذا العمل، كما لا يَسَعُني إلاّ أنْ أُنوِّه بجهود أعضاء لجنة المناقشة الذين سيُساهمون في المشاركة بإبداء آرائهم و تقييمهم لهذا البحث المتواضع، كما لا يفوتني إلاّ أن أتقدّم بالشكر و التقدير لأستاذي الدكتور عكاشة شايف الذي ساعدني كثيرا على إنجاز هذا البحث، فإليه أكرّر ثانية عِرْفاني بالجميل.

المدخل

الأسرة

- تعريفها
- أشكالها
- مميِّزاتها
- النِّظام الأبوي.
- النِّظام الأموي
- تطوّر الأسرة

يُعدُ الزّواج في المجتمعات الاسلامية عُموما و المجتمعات العربيّة خصوصا نظاما اجتماعيا يساهم – بنصيب كبير – في تنظيم الجماعة. و هو يقوم على تفضيل العلاقة الدّائمة بين الطّرفين، و الرغبة في الحياة المشتركة. و ممّا يُشجّع على ذلك احتقار الجماعة لمن ينصرف عنه[1]، " لِكونه علاقة اجتماعية جوهرية، و هو من النّاحية التاريخية يُعتبر أوّل عقدة في شبكة العلاقات الإجتماعية تُتيح لمجتمع معيّن أنْ يُؤدّي نشاطه المشترك "[2]

و يشترط في الرّابطة الزّوجية لكي تكون زواجا أن تتمّ تَبَعًا للشروط التي يُحدّدُها العُرف أو القانون مهْما كان شكل هذا العرف أو هذا القانون، و التي تتطلّب موافقة الطّرفين نفسيهما أو مُوافقة الأولياء[3]، ذلك لأنّ " كلّ مجتمع معاصر بما في ذلك المجتمعات التي تخلع على نفسها الصفة (المدنيّة) و لا يتِمّ فيها اتّحاذ الجنسين إلاّ على أساس قيمة خُلقية معيّنة، هي الزّواج الذي يُبارك اتّحادهما بإشهاره طِبقًا لخُطّة دينية رمزية، و بهذا الاشهار يأخذ اتّحاد الرّجل و المرأة كلّ معناه الاجتماعي "[4] .

---

1 عبد الحميد لطفي : علم الاجتماع – دار النهضة العربيّة للطّباعة و النشر – بيروت – 1981 – ص 100.

2 مالك بن نبيّ : ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية – تر. عبد الصبور شاهين – ج 1 – دار الفكر – دمشق – ط 2 – 1974 – ص 49.

3 عبد الحميد لطفي : علم الاجتماع – ص 100.

4 مالك بن نبيّ : ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية – ص 49.

و قد جعل الاسلام الزّواج الخليّة الأولى التي تتكوّن منها الأسرة، و تتفرّع عنها غصون الانسانية، فتتعارف و تتعاون طبقا لقوله تعالى :" يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى، و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ..."[1] .

فالزّواج أصل الحياة و هو قران يجمع الرّجل بالمرأة، و تكمن وظيفتهما في الانجاب لإثبات كيانهما و المحافظة على بقائهما إذ قال تعالى :" و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدةً و رزقَكم من الطيِّبات "[2].

و بما أنّ وظيفة الزّواج تكمن في تكوين الأسرة، يجب أن نعرّف الأسرة و نظامها و أشكالها و مدى تطوّرها و ما هي الأسباب التي دفعتها إلى ذلك ؟

تُعرّف الأسرة بأنّها جماعة اجتماعية تتميّز بمكان إقامة مشترك و تعاون اقتصادي، و وظيفة تكاثرية، و يُوجدُ بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، و تتكوّن على الأقل من ذكر بالغ و أنثى بالغة و طفل سواء أكان من نسلها أو عن

---

1 سورة الحجرات – الآية 13.

2 سورة النحل – الآية 72.

طريق التبنّي[1]، ذلك لأنّ " مُجرّد اختلاط الرّجل بالمرأة – كما كانت الحال في العصر الجاهلي – يتّفق كثيرا مع القواعد البيولوجية التي يخضع لها النّوع، علما بأنّ عدد الأفراد سيتكاثر، بفعل ما يُطلق عليه (الاتصال في نطاق الحريّة الجنسية) "[2] .

و على الرغم من وضوح هذا التّعريف الشامل فإنّ أنواع الأسر قد حُدّدت في شكلين اثنين :

الأوّل : الأسرة الممتدة : و يُقصد بها الأسرة التي تمتدّ جذور شجرتها لتشملَ جميع أفرادها الكُبرى و هي تتكوّن عادة من الجدّ و الجدّة و الأب و الأمّ و الأولاد و البنات و الأعمام و غيرهم، و يُشترط أن يُقيموا جميعا تحت سقف واحدٍ، و هي تُسمّى بالدّار الكُبرى عند الحضَر و الخيمة عند البدو[3].

و يعمل الفرد داخل الأسرة الممتدة من أجل توفير المعيشة، إذ هو مسؤول أمام جماعته بفضل ذلك التّعاون و الإيخاء. و يكون الجدّ هو

---

[1] عاطف وصفي : الأنتربولوجيا الاجتماعية – دار النهضة للطباعة و النشر – بيروت – ط 3 – 1981 – ص 91.

[2] مالك بن نبيّ : ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية – ص 49.

[3] مصطفى بوتفنوشت : العائلة الجزائرية – ترجمة أحمد دمري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1984 – ص 37. و للتوسّع أكثر أنظر : Femme, Famille et Société en Algérie - Collectif - URASC - 1988 - P. 15.

الرّئيس الرّوحي لها، حيث يُشرف على السّير الحسن داخل الجماعة و يحافظ على الانضباط، كما يسيِّر الملكية المشتركة.

و من خصائص الأسرة الممتدّة :

1- الثبات و الاستقرار، و ذلك بالرغم من تعاقب الأجيال إذ مهما تغيّرت أفراد الأسرة فإنّها تظلّ محتفظة بنمطيّة الاتباط العائلي تجاه أفرادها[1] .

2- ازدياد حجم و نوعيّة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها. فالفرد في هذا النّمط الأسري لا يرتبط بعدد كبير من الأفراد فحسب بل يرتبط مع هؤلاء الأفراد بشبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية، ممّا يترتّب عليه الضّعف التّدريجي في سلّم العلاقات الاجتماعية بين فردين في الأسرة.

3- التقارب المكاني بين أفرادها، و ما يُتيحه هذا الجوار لرؤية الأفراد بعضهم

ببعض، كما يُسهّل لأفراد معيّنين في الأسرة مراقبة الأفراد الآخرين و ملاحظة سلوكهم و محاسبتهم على أي انحراف أو خُروج عن القيم الاجتماعية التي ينبغي أن تلتزم بها الأسرة[2] .

---

1 عمر ديدي : العرف كمصدر للقانون و الثقافة – رسالة ماجستير في الأنتربولوجيا – معهد الثقافة الشعبية – جامعة تلمسان 1995/1994 – ص 87.

2 مسعودة كمال : مشكلة الطّلاق في المجتمع الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – 1986 – ص 22.

ثانيا : الأسرة النّووية (المستقلّة) : و هي تتكوّن من الأب و الأمّ و الأولاد، مستقلّين عن الجدّ و الجدّة و باقي الأفراد.

و من مميّزات هذه الأسرة :

1- الحريّة و الاستقلال : لا يخضع الابن لأبيه، إذ هو حرٌّ في سلوكه و أعماله بل و في مسكنه، حتّى و إن كلّفه الأمر إلى أن يعيش مع عائلة زوجته بعدما كانت هذه العادة محتقرة عند معظم العائلات التقليدية.

2- البُعد المكاني يؤدّي إلى التقليل من فرض التّناحر و التباغض بسبب الملكية المشتركة، سواء كانت قطعة أرض أو مسكن و غيره من التّركة.

3- القدرة على إعالة الزّوجة و الأبناء و العيش في جوّ هادىء

و بعدما عرّفنا الأسرة و أشكالها و مميّزاتها تعريفا موجزا نُسلّط الضوء على نظام الأسرة.

1- النظام الأبوي : يسمح نظام الأسرة الممتدّة بالنظام الأبوي المتسلّط أو السلطوي Patriarcal بحكم أنّ رئيس العائلة يجمع بين

يديه غالبية السّلطات الاقتصادية بالاضافة إلى سلطات أخرى اجتماعية و قانونية بحكم علاقات الأب أو الأخ الأكبر بالأبناء و الاخوة الأصغر[1]

و لعلّ من خصوصيات هذا النظام :

1- التسلّط على الزوجة و الأولاد.

2- التسلّط على المال.

3- التصرّف المطلق في كل الشؤون دون أن يكون للزوجة الحق في الاستشارة.

و من الملاحظة أنّ معظم الأسر في المجتمع الجزائري لا تزال تتّبع أحكام العائلة الأبويّة التي عرفتْها المجتمعات القديمة.

و لعلّ من أشهر الأمم التي حافظت على نظام العائلة الأبويّة هم اليهود و العرب، و لذا فإنّ المطّلع بمجرّد سماعه اسم التّوراة، يتذكّر في الحال حكومة الآباء و رئاستهم و حقوقهم على الزّوجات و الأولاد و العبيد و الماشية، و سلطتهم التي لا حدّ لها بما فيها معاقبة الأولاد بالقتل و حصر الإرث في الذّكور و حرمان الإناث من الزّوجات و البنين و تفضيل الحواشي الذّكور عليهنّ في المواريث[2].

---

1 محمد رياض: الانسان دراسة في النّوع و الحضارة-دار النهضة العربية للطّباعة و النشر- بيروت-ص 516.

2 عمر كحّالة : سلسلة بحوث اجتماعية: النسل، الجمال- جولة في ربوع التربية - ج 1 - ص 17.

لكن هذا الكلام لا يتطابق مع عصرنا الحاضر و مع بلدنا الاسلامي، إذ هو على عكس ما جاء به الاسلام، فمن الصّحيح أنّه جعل قوامه الأسرة على يد الرّجل و مع ذلك لم يُهِنْ المرأة و لم يحتقرْها إذْ أمر الرّجل أن يُكنَّ لها كل التّقدير و الاحترام[1].

مع الإشارة إلى ظهور نظريات كثيرة تُنادي بحقّ الرّجل في قيادة الأسرة، انطلاقا من أنّه المُهيىء الأوّل جسديا و معنويا لهذه المَهمّة[2] .

2- النظام الأموي :

في الأوّل لابدّ أن تتساءل عن كيفية نشوء الأمومة ؟ لقد اختلف العلماء في أمر نشأة الأمومة و تباينت آراؤهم في أمر ظهورها فذهب "بوشفن " "Bochofen" إلى أنّها نشأت من نكاح المشاركة أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط فتولّد من هذا النّوع من النّكاح الفوضوي، إذ ليس من السّهل أن يعرف الولد أباه، فينتسب إليه و يلتحق به و لذا كان النّسب محصورا في الأم و قرابتها و حسب، و أصبحت لها مكانتها

---

1 طبقا لقوله تعالى:" الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم ."

2 محمد رياض – المرجع السابق – ص 127.

العالّية عند القوم لأنّها في الحقيقة الوالدة الوحيدة المعروفة من أبوي الولد ممّا أدّى بها إلى تزعّمها الهيئة الاجتماعية رِدْحًا من الزّمن[1] .

و يذهب العالم كوونت Cuwont أيضا إلى أنّ الأمومة ظهرت بظهور عصر الزّراعة و ذلك لأنّ الأمّ في ذلك الوقت كانت تتعهّد الأرض بالغرس و الزّرع تعهّدا كليّا، و كانت تشرف على البيت إشرافا تاما لا يُنازعها السّلطة عليه أحد، متحمّلة التبعات العظيمة التي أُلقيت على عاتقها ممّا جعلها تهتم بالنّاحيتين الدّاخلية و الاقتصادية، بينما كان الرّجل بعيدا عن البيتّ و عن هذه المظاهر المختلفة إلاّ للقيام بواجب الدّفاع أيّام الغزوات و الحروب و غير ذلك[2] .

ما نستخلصه من هذه النّظريات أنّها جعلت مهمّة الرّجل في نظام الأسرة الأموية تنتهي عند الدّفاع عن الأسرة دون إعالتها، لكن ما نقوله أنّ مهما كانت درجة و قيمة المرأة إلاّ أنّها بحاجة لمساعدة الرّجل فهو المُعيل و صار بقيّة أفراد العائلة عيالاً مهما كانت درجة مشاركتهم في العمل و مهما كانت علاقات الإعالة و الإعتماد متبادلة[3] .

---

1 عمر رضا كحّالة – المرجع السابق – ص 13.

2 المرجع السابق – ص 14/13.

3 حليم بركات : النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربيّة – ط 1 – بيروت – 1982 – ص 63.

و على خلاف العائلة الأبوية، فإنّ سلطة التسيير الاقتصادي خاصة في الأسرة الأموية تقع على عاتق الجدّة أو الأمّ أو الأخت أو غيرهنّ من الإناث[1] .

فالإشراف على تسيير البيت تتحمّله عادة – في هذا النّوع من الأسر – المرأة إذْ هي التي تتكفّل بجميع المصاريف التي تتطلّبها الأسرة، مع الإشارة إلى أنّ المُمَوِّل الأصلي يبقى الرّجل إذْ هو الذي يُقدّم المادة الأساسية إلى زوجته أو أمّه التي تقومُ بدورها بالصّهر على تسيير ميزانية البيت.

و نظرا إلى تقلّص مسؤولية الرّجل في الأسرة الأموية، فإنّه يُصبح في نظر أفراد أسرته مجرّد عُضو مستهلك، و ذلك على الرغم من العلاقة الضيّقة التي تربطه بزوجته، تبقى عادية داخل أسرته[2] إذْ أنّ تحمّل المرأة للمسؤولية لا يجعلها تعتقد أنّ مفتاح سيطرتها على زوجها قد أصبح بين يديها إذْ لو كان ذلك صحيحا، لما عرف هذا النّوع من العائلات تعدّد الزّوجات.

و عليه يمكن أن نقول أنّ الأسرة هي " عبارة عن وحدة من وحدات التنظيم الاجتماعي، و لكن صورة العائلة و علاقة أفرادها بعضهم ببعض، و علاقتهم بالأفراد الآخرين داخل المجتمع الواحد أو خارجه، تحكمها معايير و محدّدات

---

1 محمد رياض – المرجع السابق – ص 516.

2 المرجع السابق – ص 526.

ثقافية. فتجد مثلا ثقافة مجتمع ما يسود فيها نمط الأسرة الأحادية، في حين يسود في مجتمع آخر نمط الأسرة المتعدّدة الزّوجات، كما قد يسود في ثقافة ما نمط السّلطة الأبوية المطلقة، فيما تنعدم هذه السّلطة للأب و توزّع على الكبار من أفراد العائلة (كالإخوة و الأعمام) أو تتمركز في يد الأمّ وحدها، أو يتقاسم كلّ من الأب و الأمّ هذه السّلطة في ثقافات أخرى و هكذا ..."[1] .

و من خلال ما سبق، يمكن أن نقول أنّ الأسرة تطوّرت فبعدما كانت الأسرة الممتدّة تتمركز في أغلب المناطق :" فإنّ اتّجاه التغيّر الآن يجعل كلّ ابن متزوّج يستقلّ فورا عن أسرته الكبيرة و تختلف درجة الاستقلال باختلاف الظّروف، فقد يستقلّ الابن استقلالا اقتصاديا و يظلّ اجتماعيا مرتبطا بالأسرة، و قد يكون استقلاله تامّا خصوصا إذا هاجر من القرية و إن ظلّ على صلة بالأسرة يعاونها اقتصاديا "[2] .

لقد أخذ نطاق الأسرة يضيق شيئا فشيئا حتّى وصل إلى الحدّ الذي استقرّ عليه الآن في معظم المجتمعات الحاضرة حيث أصبحت لا تشمل سوى الزّوج و الزّوجة و ذريّتهم[3] .

---

1 أحمد بن نعمان : سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتربولوجيا النفسية – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1988 – ص 136.

2 محمد عاطف غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – ص 170.

3 عبد الحليم لطفي : علم الاجتماع – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – 1981 – ص 123.

و ممّا يؤكّد عدم استمرارية الأسرة الممتدّة أنّ " بمجـرّد مـوت الوالدين تكثر الخلافات، فيذهب كلّ واحد يُفتّش عن مصلحته بعيدا عـن إخوته و من ثمّ لا يبقى لهذه العائلة أثر، فـأواصرها تـنمحي بـمرور الـزّمن خاصة إذا ما تـزوّج الأبـناء و البنات من خارج الأسرة[1] .

هذا لا يجعلنا ننفي وجود الأسرة الممتدّة في وقتنـا الحـاضر و في مجتمعنا الجزائري بصفة عامّة، لأنّنـا لازلنـا نـرى بعـض العـائلات التقليدية تحافظ على نمطية الشّكل القديم للأسرة و تُعاقب كلّ مـن حـاول الخروج عنها.

---

1 عاطف وصفي : الأنتربولوجيا الثقافية – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – 1971 – ص 173.

الفصل الأول

قواعد الزواج

أوّلا : أولي الأمر في الزّواج

ثانيا : الحسب و النسب .

ثالثا : الخلق و الجمال .

رابعا : المهارة .

خامسا : الزّواج المبكّر .

سادسا : الخطبة .

سابعا : المهر .

ثامنا : يوم الزفاف.

أوّلا : أولي الأمر في الزّواج :

قضت العادة أن يتجنّب الحديث مع الأبناء فيما يتعلّق بأمور الزّواج عند بعض العائلات المحافظة، فالاختيار يكون من اختصاص الأولياء، و ما على الأبناء و البنات إلاّ الطاعة و التّنفيذ[1] و ذلك خوفا من (دعوة الشرّ) كما يقال وخشية من النّتيجة السيّئة الّتي ستلحق بهم طبقا للمثل التّالي « وِينْ بِهَا يَا عَاصِي الوَالَدِينْ »[2]

المعنى الظّاهر هو أنّ الفرد مُرْغَم على تلبية أولي أمره و إرضائهم، و قياس تأكيده يدلّ على أنّ ربّ الأسرة هو الّذي يتولّى شؤون أفرادها و منها الزّواج . و قوّة الأولياء تمثّل في أن ينجحوا أو يفشلوا زواج أبنائهم من خلال غضبهم أو رضاهم .

و مقابل هذا، فالأولياء يريدون أن يبرزوا جانبهم المسؤولي في تحقيق مستقبل أبنائهم و بناتهم.

و نستخلص من هذا المثل أنّ المقصود ليس الزّواج و ليس الفرد في حدّ ذاته، بل هو مرتبة الأولياء و الضّرر الّذي سيُلحق بالأبناء

---

1 رابية نادية – المسكن و العائلة بعد زواج الأبناء – دراسة ميدانيّة لمنطقتين حضريتين : منطقة مون بليزان (بوفريزي) و منطقة بوروية –رسالة ماجستير – معهد علم الاجتماع – الجزائر – 1991/1990– ص59.

2 قادة بوتارن – الأمثال الشّعبية الجزائريّة – ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر – 1987 – ص 168

3 لاحظ أنّ العُرف جعل من الزّواج نصف الدّين.

إذا لم ينفّذوا الأمر . فالعصيان في مثل هذه الحالة : يكون عصيانين : عصيان الوالدين من جهة، و عصيان الدّين من جهة أخرى.

فالزّواج هو مهمّة عائليّة و ليس فرديّة، إذ أنّ للأبوين الحقّ في اختيار زوجة الإبن (الكنّة)، كما يرجع إليهما أمر تحديد وقت الزّفاف[1] .

و هناك مثل آخر يناقض المثل السّابق إذ يقول :" الزّواج ما يكون إلاّ بالرّضا، و الحرث ما يكون إلاّ بالرّوا "[2]

ينصح الباثّ الشّعبي المتلقّي هنا، بأن يكون قبول الطّرفين شرطا ضروريا لنجاح الحياة الزوجيّة، و إلاّ سيكون مآله الانتكاس و الفشل، و هذا ما ينطبق على حرث الأرض و بذر البذور. إذ لا يكون إلاّ بعد روائها بالماء لتوفير أسباب عطائها .

و من هذا المثل نلمس مقابلة من أوجه التّرابط المؤدّي إلى نتائج متشابهة و متطابقة

و عليه فوجود العلاقة بين الزّواج و الحَرْث دليل على وجود علاقة بيولوجية جديدة تفضي إلى استمرار الحياة . و نخرج من قراءة المثلين السّابقين إلى تحديد الإشكالية التّالية :

---

1 فوزية العطية – المرأة و التّغيير الاجتماعي في الوطن العربي . معهد البحوث و الدّراسات العربيّة ببغداد – قسم البحوث العلمية – 1983– ص57 .

2 عبد الملك مرتاض – الأمثال الزّراعية – دراسة تشريحية لسبعة و عشرين مثلا شعبيا جزائريا – الجزائر – 1987 ص 175 .

أ/ الطّاعة = رضا الوالدين ≠ المعصية .

ب/ التمرّد = رضا المعني ≠ الطّاعة .

كما نستخلص من هاتين المعادلتين : وجود أسرتين مختلفتيـن، لكلّ منهما قيمها و تقاليدها .

توحي الأولى بوجود الفرد داخل مجموعـة موحّدة، و مـن ثـمّ فهو مطالب بالمحافظة على عاداتها و تقاليدهـا (طاعـة الوالديـن و تلبيـة رغبتهما في أثناء الزّواج). فهذه الأسرة امتداد لأجيال القبيلة اللاحقة[1].

أمّا الثّانية فتوحي بوجود فرد حرّ في مكان مستقلّ، قادر علـى تحمّل مسؤولياته دون تدخّل أفراد عائلته. ممّا يعني أنّ للفرد فيهـا الحـقّ الكامل في اختيار شريكة حياته بنفسه .

كمـا نستخلص أيضـا مـن المثَليـن السّـابقين مجموعـة مـن الضّوابط العائليّة منها على الخصوص : المسـاواة بيـن الذكـر و الأنثـى في المعروف و المنكر .

فـالقولان الشّـعبيان لا يخصّـان الرّجـل دون المـرأة و إنّمـا يجمعان بين الإثنين. فالشرّ (المعصية) و الخير (الطّاعة) ينطبقـان علـى الرّجل كما على المرأة أيضا.

---

1 للتوسّع أنظر مثلا Pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie- que 1974 - P: 11- 18 sais-je - N° 802 - Paris

نخلص من هذا كلّه إلى أن هذين المثلين. على ما يبدو فيهما من تناقض يشخّصان طبيعة الصّراع الموجود داخل العائلة الجزائريّة عامّة والعائلة في منطقة تلمسان خاصّة.

فمن جهة نجد المقبل (أو المقبلة) على الزّواج مطالبا (مطالبة) بالطّاعة العمياء لأولياء أمره، في عمليّة اختيار شريكة (شريك) حياته، و من جهة أخرى نجد المقبل (المقبلة) على الزّواج غير مطالب بالطّاعة لأولياء أمره، بل على العكس من ذلك فهو (هي) مطالب بالحرية التامّة في عمليّة اختيار شريكة (شريك) حياته.

و يعني هذا كلّه أنّ عملية الزّواج تواجه في منطقة تلمسان – بوصفها نموذجا للجزائر عامّة بعاملين متعارضين[1] .

1- عامل قيد، يحيث لا تنجح عمليّة الزّواج إلاّ برضا الأولياء و من ثمّ بخضوع المقبل (المقبلة) على الزّواج لأوليائه .

2- عامل حبّ، بحيث لا تنجح عمليّة الزّواج إلاّ بتراضي الطّرفين و تبادل الحبّ بينهما.

ثانيا : الحسب و النّسب :

من عادة الأسرة التّلمسانية أن تنتقي الفتاة ذات الحسب و النّسب مادام الاختيار هو من اختصاصها، و لعلّ ما يؤكّد هذه الفرضية

---

1 للتوسّع في هذا الموضوع أنظر : مصطفى بوتفنوشت : العائلة الجزائرية، التطوّر و الخصائص الحديثة – ص 56/37

أمثال شعبيّة يدور مجالها حول هذا الموضوع و منها قولهم : " خُذْ بَنْتْ الحَسْبْ و النّسَبْ "[1] .

إنّ العبارتين : الحسب و النّسب، ناطقتان بهياكل ثقافيّة معيّنة.

فمدلول كلمتي الحسب و النّسب هو المعيار الأساسي في ضبط التّراتبيّة الاجتماعيّة المحلّية في الجزائر:

إنّ معيار الحسب يعني مباشرة الثّروة، أما معيار النّسب فيعني الأجيال المكوّنة لقبيلة البنت و ما تمتاز به من شرف و مكانة اجتماعية.

و من ثمّ فحسن السّمعة و طيب الأصل صفات تزيد من قيمة الخطيبة و عليه فهي – كما تقول فوزية دياب تحمل من صفاتهم الحسنة و أخلاقهم الطيّبة و بذلك تستطيع أن تكون زوجة صالحة و مربّية فاضلة[2] .

و تأكيد لذلك ما ورد في المثل الشّعبي. " السلالة سلالة و العرق جبّاد"[3] .

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان

2 فوزية دياب : القيم و العادات الاجتماعية – دار النهضة للطّباعة و انشر – بيروت – 1980 – ص 260.

3 قادة بوتارن – الأمثال الشّعبيّة الجزائريّة – ص 159 .

كما نستخلص من المثل السّابق " خُذْ بَنْتْ الحَسْبْ و النّسَبْ " أنّ الخطبة موجّهة للرّجل دون المرأة. لأنّ القبيلة ذكوريّة فأهل الذّكر لهم الحقّ – وحدهم – في خطبة المرأة و العكس غير صحيح .

كما نستخلص أنّ الزّواج عمليّة مدروسة بحيث إذا تزوّج الرّجل من بنت الحسب و النّسب، تكون نسبية نجاح زواجه أعلى ممّا لو تزوج بمن لا يتوفّر فيها هذا الشّرط . غير أنّ هناك مثلا آخر يناقض المثل السابق و هو يقول :" اللّي يْشُوفْ الفُوقْ يَتْعَبْ "[1] .

العبارتان (يشوف الفوق) و (يتعب) تدلاّن – أوّلا – على وجود مجتمع ذي طبقتان اجتماعية، و على وجود سلوك اجتماعي يُريدُ الناس من خلاله أن يرتقوا من الأسفل إلى الأعلى.

و هذا النوع من الزواج مكلّف، و مآله الفشل طبقا لنظرية هذا المثل.

كما نفهم من هذا المثل أيضا أنّ الطريقة العقلانية المؤكّدة بالشرط و التبصّر هي الزواج من الطبقات الاجتماعية ذات المستوى المشابه، غير أنّ العادة جعلت الناس يُقبلون على الزّواج من بنات الأغنياء، طلبا لاكتساب السعادة و العيش الرغيد و هذا ما يؤكّده "

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

عمر كحالة " حيث أشار إلى أنّ الفتاة الغنيّة تستطيع أن تساعد زوجها في حياته المعيشية، إذ هي تُعدّ نفسها و ما تملكه مُلكا لزوجها[1].

و لعلّ ما نستنتجه من المثل السابق هو أنّ الزّواج آهل للفشل إذا بُني أساسا على المال أو الحسب لأنّه يُصبح بذلك تجارة دنيئة، كثيرا ما تؤدّي بصاحبها إلى الهلاك و الضياع. و لعلّ المثل التالي يؤكّد هذا الحكم :

" الدار كبيرة و المال غواني و الجوع فيها يقطّع مصراني "[2]

و هو ينقسم إلى قسمين : (الدار كبيرة و المال غواني) و هذا شيء ظاهر للعيان و (الجوع فيها يقطّع مصراني) و هو شيء خفيّ، لا يُكتشف إلاّ بعد أن يتمّ الزّواج[3] .

و تحليل هذا المثل على مستوى المدلول يكون حسب العمليات الآتية :

1- الكسب ⇐ التقشّف

2- الغنى ⇐ سوء المعيشة

---

1 عمر كحالّة : الزّواج – سلسلة بحوث اجتماعية – الجزء الأول – سوريا – 1984 – ص 275.

2 مثل يردّد في منطقة تلمسان. و لعلّه مقطع من أغنية شعبية أيضا.

3 لمعرفة أبعاد مصطلح (الدار الكبيرة) في العرف الجزائري. أنظر مثلا : مصطفى بوتفنوشت – المرجع السابق – ص 40/39.

3- الإغراء ⇐ الحساب الخاطىء

بُني هذا المثل على شكل جملتين : الأولى : ابتدائية و الثانية خبريّة، و لا نحصل على هذا الخبر إلاّ عند العيش في وسط العائلة الغنيّة.

أمّا النتيجة المتوصّل إليها من خلال تلك الأمثال كلّها فهي :

أنّ الزواج لا يجب أن يكون من أجل المنفعة الخاصة أو المصلحة الذاتية و إنّما ينبغي أن يكون قائما على علاقة حبّ، يجمعها التآلف و التآنس، ممّا يدلّ على الخلفية الدينية لهذه الأمثال و التي يمكننا أن نؤكّدها بالمرجعية الدينية التي تمثّلت في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ عن أنس ﷺ :" من تزوّج امرأة لعزّها لم يزده الله إلاّ ذلاّ، و من تزوّجها لما لها لم يزده الله إلاّ فقرا، و من تزوّجها لحسبها لم يزده الله إلاّ دناءة، و من تزوّج امرأة لم يَرُدْ بها إلاّ أن يغضّ بِبصره و يَحصن فرجه، أو يظلّ رحِمه، بارك الله له فيها و بارك لها فيه "[1] .

يظهر من هذا أنّ الناس في اختيارهم الزوجة و تفضيلهم بعض النساء على بعض مختلفون : منهم من يرغب في ذات الحسب الوافر و الثروة الواسعة لكي تُعينه على مطالب الحياة، و منهم من يطمئن إلى ذات النسب الشريف، و منهم من لا يرضى إلاّ بذات الأخلاق المكتسبة أو الموروثة مقياسه في

---

1 عبد الحميد خراز : فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الاسلام – ط 2 – الجزائر – 1987 ص 78. – رواه الطبراني في الأوسط (الترغيب و الترهيب، كتاب النكاح)

ذلك سلوك و تفكير أمُّ المخطوبة، إذْ تجسد كل أمّ مثالا تقتدي به ابنتها بأنّه أحسن مثال. فالبنت الصورة و الأم الأصل و الدليل على ذلك قولهم : " شوف بيتها و اخطب بنتها " أو " دور مع العودة و اشري بنتها "، أو " كفي القصعا على فمها تشبه البنت لمْهَا "[1] .

فالذاكرة الشعبية هاهنا تقيس الفرع على الأصل، فالبنت صورة طبق الأصل من أمّها لأنّها تقلّدها في كل شيء : في سلوكها و أخلاقها و تفكيرها.

فالرجل الذي يتجه في اختياره للزوجة إلى وضع المال أمام كلّ اعتبار آخر يكون ذلك تحت وطأة الفقر و متاعب الحياة، و نكد العيش فضلاً عن أنّ الانسان يحبّ المال بطبعه، فغريزة حبّ المال كغريزة حبّ النساء ذاتها عند الرجل، و إلى هاتين الغريزتين بالذات قد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى :" زيّن للناس حبّ الشهوات من النِّساء و البنين و القناطير المُقنطرة من الذّهبِ و الفِضَّة و الخيل المسوّمة من الأنعام و الحرث ذلك متاع الحياة الدنيا "[2] .

---

1 فاطمة كمراوي : وضع المغربي و أسلوب معالجته داخل الأسرة من خلال الأمثال الشعبية – مجلّة التربية – العدد 8 مارس 95 – ص 71.

2 سورة آل عمران – الآية 14.

كما قد يُواجه الباحث بتصوّرٍ مضاد على أنّ الساحة الشعبية لم تخل تماما من أمثال تدعو الناس إلى اتّخاذ الحيطة في الجري وراء الحسب في غياب النسب و ما يؤكّد هذا تردّد أمثال كثيرة منها :

" اللّي مَدّ بَنْتُ علَى المال يْموت مذلول "[1] .

" اللّي يْشوفْ الفُوقْ يَتْعبْ "[2]

" اللّي يْتزوّجها علَى مَالْها يْموتْ فْقِيرْ و اللّي يْتزوّجها علَى رْجالْها يْموتْ حقِيرْ و اللّي يْتزوّجها علَى جْمالْها يْحَبَّهْ رَبِّي و النبِي لَبْشِيرْ "[3] .

فتصوّرَ الناس من خلال الأمثال الشعبية تُغذّيهْ تقاليد دينية، لكن في غياب الاقتناع الذي يجعل مثل هذا الاقبال أو عدمه يتحرّك في اتّجاه اجتماعي منظّم.

نستخرج من كلّ ما يتعلّق بأمور الزّواج في ضوء الأمثال السابقة، و التي تنطلق من الفرضية التالية : النّسب و الحسب أساس الاختيار.

كثيرا ما يتطلّع أولياء المقبلين على الزّواج إلى النسب العريق و المال الكثير لضمان مستقبل أبنائهم و بناتهم و استقرار حياتهم،

---

1 يردّد في منطقة تلمسان.

2 يردّد في منطقة تلمسان.

3 قادة بوتارن – الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 152..

فيختارون المرأة التي يتوفّر فيها هذان الشرطان طبقا لنظرية الأمثال التي سبقت دراستها. فالزّواج مسؤولية الأولياء بالدرجة الأولى، إذْ تَقعُ على عاتقهم جميع النتائج المترتّبة عليه. و من ثمّ فإنّهم يتصوّرون في الاختيار النسب الصالح مع إمكان توفّر الحسب أيضا، و ذلك تجنّبا لصروف الدّهر و قساوته.

مع الاشارة إلى أنّ هذا المبدأ لا يقتصر على عائلة المقبل على الزّواج، و إنما تُراعيه أيضا عائلة المُقبلة على الزّواج بمعنى أنّ من حقّ أولياء المرأة أن يَرفُضُوا طلب الرّجل إذا لم يتوفّر فيه هذان الشرطان و هما الحسب و النسب، بالاضافة إلى شرط العمل و الرزانة و حسن التدبير. فسواء أكان المؤهّل للزّواج ذكرا أمْ أنثى فإنّه ينصح بالتفكير و التدبّر و جمع المال لمجابهة المسؤولية الأسرية " فتح بيت " التي ستلقى على عاتقه، و هذا ما تلح عليه الذاكرة الشعبية في المثلين " زواج ليلة تدبيره عام " أو " روح تحطب قبل ما تخطب "

ثالثا : الخلق و الجمال :

الجمال صفة تحمل في طيّاتها معاني شتّى تختلف باختلاف الأذواق و الميول و المدارك الشخصية، إذْ هناك من يرتاح إلى الجمال الجسدي (الظاهري) و لاَ يُولّي أهميّة للجمال الرّوحي (السلوك)، بينما لا يرتاحُ الآخر للجمال الجسدي في غياب الجمال الروحي، ممّا يجعل هذا الصنف من الناس يشترط توفّر الجمال بعنصريه المادّي و الرّوحي.

و لعلّ الأمثال الشعبية المتداولة في هذه المنطقة تؤكّد متطلّبات الصنف الأخير و منها المثل التالي :

" متشوفش للنخل شـف للدّخل "[1]

يَطْرحُ هذا المثل مشكل تنوّع التفسير :

1- النخل ← المعنى المجازي (طول القامة) بمفهوم الجمال.

2- النخل ← المعنى المجازي (الغنـى و الـرزق) حيث إنّ النخيل في تاريخ العرب يدلّ على مصدر كسب و رزق كثير.

كما نستخرج من هذا المثل قاعدتين :

- الأولى : تفصيل الخلق على الجمال.

- و الثانية : تفصيل الخلق على المال[2] .

و يتجلّى لنا من هذه النتيجة أنّ عمليّة اختيار الزّوجة محاطة بقاعدة ذات أبعاد ثلاثة :

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

2 من أجل التوسّع، أنظر محمد بشير - بحث في أبعاد الثقافة العمالية لدى عمّال المؤسسة الوطنية للصناعات النسيجية (مركب الحرير بتلمسان) - جامعة تلمسان - عام 1991-1992 - ص 74/70.

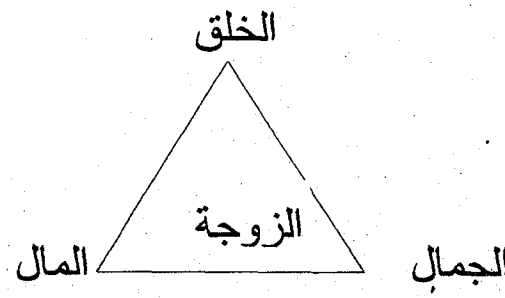

كما يتّضح لنا أيضا من هذا كلّه أنّ مفتاح الاختيار يكون في يدِ الزّوج و أوليائه و ليس في يد الزوجة، ممّا يُذكِّرُنا بالمبحث الأوّل الخاص بطاعة الوالدين عند الاقبال على عملية الخطبة.

و هناك مثلان آخران يوضّحان مغزى المثل السابق " لا يْعجبك نوّار الدّفلى في الواد داير الظلايل و لا يْعجبك زين الطفلة حتّى تشوف الفعايل "[1] .

هذا المثل كلام كثيرا ما ردّدته الألسنة الشعبية و أعدّته منهاجا تسير عليه لما فيه من الأهمية و المنفعة، و نجد فيه مقارنة بين جمال المرأة و نوّار الدّفلى انطلاقا ممّا ترمز إليه الدّفلى من جمال الورد و مرارة الطّعم.

---

1 نور الدين عبد القادر – القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان مجدوب – المطبعة الثعالبية بالجزائر – بدون تاريخ – ص 19.

فقياسا على ذلك يكون جمال المرأة مثله مثل الورد في حين قد يكون خلقها مُرّا كمرارة الدّفلى، ممّا يعني أنّ للخاطب مطالب عند الاقدام على عملية الخطبة بمراعاة شرطين أساسين :

1- أنْ لا يكتفي بالجمال الظاهر (نوّار الدّفلى)

2- أن يراعي ما هو خلف هذا النوّار من مرارة الطّعم (فقدان الخلق).

و يعني هذا أنّ الجمال - وحده - لا يكون معيارا كافيا لتقويم المخطوبة و إنّما تتقصه اللّوازم الخلقية كالامتثال و الانضباط...[1] .

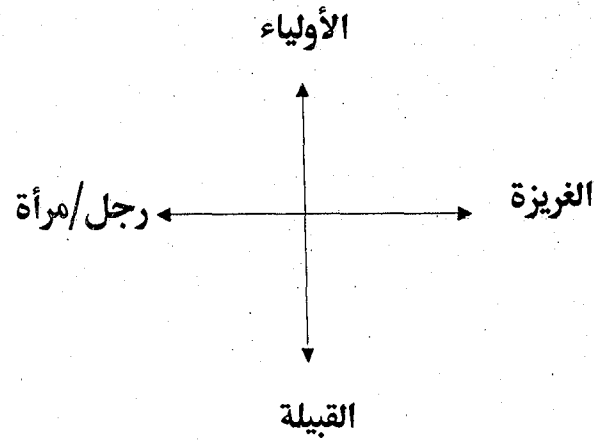

---

1 للتوسّع، أنظر قاسم أمين : تحرير المرأة - موفم للنشر - الجزائر 1990 - ص 33.

المعنى الأساسي في المثلين السابقين : ينفي الزّواج على المستوى الأفقي و يُقام أساسا على المستوى العمودي (أولياء – قبيلة)

فالجمال غير كافٍ إذا لم يصحبه حسن الخلق، و ما يوضّح قولنا أكثر هو قول عبد الحميد خزار :

" الجمال عرض زائل و نظاراته سرعان ما تزول بتقدّم العمر و تجعّد الوجه، و انحناء الظهر و تساقط الأسنان، فيكون هذا القياس وقتيا، و قد تتعرّض الجميلة لحادث من الحوادث يذهب بجمالها و يتركها قبيحة المنظر، فالجمال إذًا ليس جمال المظهر و إنّما هو جمال المخبر، جمال الخلق لأنّ الجمال المظهري كثيرا ما يجعل المرأة محطّ انظار الآخرين، و قد يكون سببا و دافعا لها في خيانة الزّوج "[1]

ما نستخلصه من هذا القول أنّ الجمال الروحي أسمى من الجمال المحسوس و النفس تتوق إلى ذلك أكثر و يتوقّف عليه نجاح الحياة الزوجية.

فإذا تزوّج الرّجل الجمال، فعند اختفائه، لابدّ أن يعيد الزواج مرّات و مرّات لكي يتغلّب على عقدة الجمال الدّائم أو الأبديّ.

إذن فالخلق أساس الاختيار طبقا لنظرية المثلين السابقين و التي يُمكننا أن نؤكّدها بالمرجعية الدينية التي تمثّلت في أحاديث كثيرة

---

1 عبد الحميد خزار : فلسفة الزّواج و بناء الأسرة في الاسلام – ص 76.

منها قوله ﷺ :" ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا لَهُ من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته و إن نظر إليها سرّته، و إن أقسم عليها أبرته و إنْ غاب عنها صنته في نفسها و ماله "[1] .

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنّ الرّسول ﷺ قال :" الدّنيا متاع و خير متاعها المرأة الصالحة "[2] .

نخلص من هذا كلّه إلى أنّ هذين المثلين يرشدان الراغبين في الزواج إلى أن يظفروا بذات الدّين، لتقوم الزوجة (المخطوبة) بواجبها الأكمل في أداء حقّ الزّوج و حقّ أفراد العائلة من أبٍ و أمٍّ و أخٍ و أختٍ و غيرهم... مادامها ستعيش في وسطهم. غير أنّ معظم الأمثال قد اقتصرت على المرأة، بحيث إنّها أتاحت الفرصة للرّجل فقط، فهو يختار صاحبة الخلق[3] على أنّ الأمثال الرائجة في هذه المنطقة قد أعطت حريّة الاختيار للذكر دون الأنثى، ممّا يدلّ – أوّلا – على المكانة الخاصة للرّجل في العائلة ك إذْ يحقُّ للذكر ما لا يحقُّ للأنثى في اختيار شريكة الحياة. و يدلُّ – ثانيا – على المكانة المخصّصة للمرأة في العائلة : إذْ لا يحقُّ للأنثى ما يحقُّ للذكر من شروط اختيار الزوج.

---

1 رواه ابن ماجة عن علي بن يزيد (عن المرجع نفسه)

2 المرجع السابق – ص 81 (عن الترغيب و الترهيب – المنذري)ن (رواه مسلم و النسائي و ابن ماجة 112/4)

3 ملاحظة : حتّى و لو أنّنا – خلال دراستنا الميدانية – لم نعثر على أمثال تُبيّن من هو الذي يختار الزوجة – أهي الأم، أم الأب أم الزوج نفسه.

و نستخلص من هذا أيضا أنّ الرّجل غير معابٍ فهو شبه معصوم من العيوب عامة و العيوب الجسمانية خاصة. و ما يؤكّد قولنا هو ما جاءت به الحكمة الشّعبيّة : " شبوب الرّجال فعقولها و عقول النسا فشبوبها "[1]

و طبقا لهذا، فإذا كان الرّجل الذّميم الخلق يحق له أن يتزوّج بالمرأة الجميلة فإنّه على العكس من هذا، لا يحقّ للمرأة الذّميمة الخلق أن تتزوّج بالرّجل و لو كان ذميما. علمًا أنّ المرجيعة الدينية هي ذاتها تُوحي ظاهريا بما يدعو إلى الاعتقاد بأنّ الرجل وحده صاحب الحقّ في الاختيار. و ذلك طبقا لما يُفْهم من ظاهر الحديث الشريف : " تُنكح المرأة لأربع : لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها، فاظفر بذات الدّين تَربت يَداكَ "[2] .

رابعا : المهارة :

تتردّد في منطقة تلمسان أمثال كثيرة تدور حول شطارة الزّوجة و فطنتها و لعلّ من أشهرها قولهم :

" شاطرة و مولات ذراع "[3] .

---

1 قادة بوتارن – الأمثال الشّعبيّة الجزائريّة – ص 145.

2 عبد الحميد خراز : فلسفة الزّواج و بناء الأسرة في الاسلام – ص 77 (عن الترغيب و الترهيب : 116،115/4 – الحديث رواه البخاري و مسلم و أبو داوود و النسائي و ابن ماجة).

3 مثل يردّد في منطقة تلمسان

" مولات الدّراع الوافي ما تحافي "[1] .

" الطّفلة اللّي ما تغربل دقيقها غير ترجع على طريقها "[2] .

إنّ ممّا لاشكّ فيه أنّ عبارة " مولات الدّراع " هي كناية عن المهارة، أمّا مدلول عبارة " ما تحافي " فهو أنّها مسالمة و مسامحة، أو هي تمتثل لِما يُطلب منها كما هي سريعة الاندماج داخل تلك الأسرة. فضلا عن أنّها تقوم بكلّ الشؤون المنزلية من كنس و طبخ و غسل و عجن و حلبٍ، بالاضافة إلي العناية بكلّ أفراد الاسرة و خدمتهم و تربية الاولاد[3] .

فالزّوجة – طبقا لهذه الأمثال – مرغمة على القيام بكلّ الأعمال المسندة إليها و ذلك تجنّبا لمعايير المجتمع التي كثيرا ما تكون قاسية إلى درجة إلغاء الزّواج أو الطّلاق، و هذا ما تخشاه المخطوبة، فضلا عن أسرتها ممّا يجعل الأمّ تدرّب ابنتها على كلّ شؤون البيت[4] ،

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان

2 فتح الله بن عبد الله : المثل الشعبي في منطقة تلمسان – جمع و دراسة فنية – رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية – تلمسان – 1995/1994 – ص 302.

3 أنظر محمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي – ص 124.

4 طبقا للمثل القائل :" العاتق الونيسة تعزّي، و تهنّي النّفيسة " – القائل : فتح الله بن عبد الله : المثل الشعبي في منطقة تلمسان – ص 308.

حتّى تجعل منها زوجة (شاطرة) من جهة، و حتّى تقيها عواقب الفشل في الزواج الذي هو وصمة عار، يُشخِّصُهُ المثلان التاليان :

" ما سبَّعْت ما ربَّعْت "[1]

" الحنّة فاظفارُها و الخطّار جابت خبارها "[2] .

و ما يُلفت النّظر في هذين المثلين، أنّهما موجّهان إلى المرأة دون الرّجل ممّا يعني أنّ المرأة منفعلة و ليست فاعلة و من ثمَّ فهي التي تتحمّل – وحدها – عواقب فشل الزّواج، إذا لم تتهيّأ له من قبل، محضّرة نفسها لكلّ ما يتطلّبه بَيْت الزّوجية من أعمال تتطلّب المهارة أو الاتقان.

و نستخلص ممّا سبق أنّ المرأة معرّضة للامتحان في أثناء زواجها و يتمثّل هذا الامتحان في مجموعة من التقاليد تفرض عليها و ليس لها الحقّ في الرّفض، و إنّما عليها أن تنجحَ في تنفيذ هذه الأمور حتّى لا تتعرّض إلى ما لا يُحْمَدُ عقباه و هو الطّلاق.

و نخلص من هذا كلّه إلى تحديد الاشكاليتين التاليتين :

1- المرأة : (البيت + المهارة المنزلية)

2- المرأة : (العمل خارج البيت + المهارة).

---

1 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 158.

2 المرجع نفسه – ص 150

تشير الاشكالية الأولى إلى أنّ مكانة المرأة هي داخل البيت. فهي لا تخرج منه إلاّ عند زيارة والديها، إذْ أمامها مسؤولية كبيرة : تتمثّل في القيام بشؤون البيت و خدمة أفراد الأسرة الجديدة.

تتمثّل المهارة في هذا النّوع من الأسر المحافظة في الإشراف على البيت. فالاسرة المحافظة لا تُحِبّ أن تعمل المرأة خارج البيت، و سبب ذلك أنّه قد ينقص من مكانتها حَسبَ مقولة الأمثال التي يؤمنون بها و التي تتمثّل فيمايلي:

" بَنْت لَخْلاَ ما تْعمّرْ "[1] .

" الخلطة تْخسرْ "[2] .

بينما توحي الاشكالية الثانية بحريّة المرأة، إذْ أنّ هذا النّوع من الأسر تؤمن بنظرية الأمثال التالية :

" المعاونة فالنّصارة وْلاَ لْقعَادْ في الخسارة "[3] .

" يدّ وحدْها ما تْصفّقْ "[4] .

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان

2 مثل يردّد في منطقة تلمسان

3 مثل يردّد في منطقة تلمسان

4 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

لم تُخلق المرأة للقيام بشؤون البيت فحسب، بل خُلقت لتؤدّي المهام المُشابه لمهام الرّجل كالعمل في المزارع، و التّعليم و في مختلف المجالات الأخرى ممّا يؤكّد أنّ مهارتها لا تتمثّل في خدمة زوجها و عائلته و إنّما تتعدّى هذه المهارة عندها أمور البيت لتشملَ مجالات الحياة الأخرى[1] .

خامسا : الزّواج المبكّر :

تزخر الذاكرة الشعبية بالكثير من الأمثال التي يَدُور موضوعها حول الزّواج و لعل من أشهرها قولهم : " خُذها صغيره اطّيعك "[2] .

" خذها صْغيرة تْربّيها على يدّكْ "[3] .

" زوّج البنت صغيرة تْعيش مهنّي "[4]

" بكّرْ لحاجتكْ قْضيها، و تْصنّت للفال، بنتَكْ قْبَلْ الصُّومْ أعْطيهَا، قْبَل لا يَكْثرْ القِيلْ و القال فيها "[5]

---

1 للتوسّع : أنظر مصطفى بوتفنوشت – المرجع السابق – ص 206/88.

2 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

3 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

4 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

5 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 39.

من خلال قراءتنا للأمثال يتبيّن لنا أنّ لزواج الفتاة شرطا أساسيا هو :

- صِغَر السّن : يسهل على الفتاة الصّغيرة السّن أن تتكيّف مع المستجدّات الخاصة بالحياة الجديدة في بيت الزّوجية، و ذلك بخلاف الفتاة التي تكون قد مَكَثَتْ في بيت أبيها زَمَنًا طويلاً إلى درجة تعوّدها على نمط الحياة العائلية داخل أسرتها، ممّا يصعب عليها التخلّص من هذه العادة، و من ثمّ الاندماجّ في الحياة الجديدة. هذا من جهة، و من جهة أخرى أنّ الفتاة محط شرف الأسرة، و محطّ مخاوف جلب العار على العائلة و لعلّ عبارة " بنتك قبل الصُّومْ أعْطيهَا، قْبَل لا يَكْثرْ القِيلْ و القال فيها " تفنّد هذه الأفكار و تفسِّر وجوب الاسراع بزواج الفتاة قصد تجنيبها مزالق السقوط.

انطلاقا من هذا المفهوم جاءت بعض الأمثال تنصح العائلة بالزّواج المبكِّر للبنت، فضلا عن أنّ المثلين السابقين يعطيان للذكر حريّة الاختيار دون الأنثى.

ممّا يعني أنّ البنت ملتزمة بقبول الرّجل في غياب شروط السّن و هذا على عكس الرّجل الذي يطالب بتفضيل البنت الصغيرة على العانس.

و لعلّ لهذه الظاهرة مخلّفات سلبية على المجتمع الجزائري عامّة و التلمساني خاصة. و تتمثّل هذه السلبيّات في معاناة

البنت التي لا يُسعفها حظّها في الزّواج المبكّر، ممّا يفرض عليها البقاء عانسا طول حياتها أو أن تنتظر شيخا عجوزا يتقدّم لها.

كما قد تتمثّل هذه السلبيات في دفع العوانس إلى ارتكاب الآفات الاجتماعية سواء قصد تعويض نقص ما أو من باب اكتساب الرّزق.

ذلك ما يُستخلص من شرط الزّواج المبكّر للفتاة، أمّا ما يُستخلص من أبعاد دلالية لهذه الأمثال، فيظهر في صيغة الأمر التي ينُوط بها الأولياء و هي تتمثّل في (خذها)، (زوّج)، و (بكّر)، و (اعطيها). و يدلّ هذا على سيطرة أولياء الأسرة المحافظة و تحكّمهم في زمام أمور زواج بناتهم، علما بأنّ هناك أمثالا – نسبيا – جاءت تنصح بالزّواج المبكّر للذكر، و منها على سبيل المثال : " زوّج الولد صغير تعيش مهنّي "[1]

على أنّ ما يستنتج من هذه الأمثال كلّها هو مراعاة مصلحة الأولياء و عدم مراعاة مصلحة الأبناء و البنات، بمعنى أنّ التبكير بتزويج البنت و التبكير بتزويج الولد لا يُقْصَد به راحة الأولياء و اطمئنانهم.و هذا ما يستخلص من جواب الأمر الوارد في الأمثال السابقة :

(خذها ... أطّيعك)

(خذها ... تربّيها)

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

(زوّج ... تعيش مهنّي)

و ما نلاحظه أيضا أنّ الذاكرة الشعبية كثيرا ما تنهل قيمها و أحكامها من القرآن الكريم و السّنة انبوية الشريفة، إذ وردتْ أحاديث نبوية كثيرة توصي بالتبكير في الزّواج، و ذلك اتّقاءا من الوقوع في الفواحش[1] و منها على سبيل الذّكر لا الحصر قوله ﷺ : " من أراد منكم الباءة فليتزوّج فإنّه أغضّ للبصر و أحصن للفرج "[2] .

كما أنّ للزّواج المبكّر أهداف أخرى غير اتّقاء الفواحش و من أبرزها الانجاب المبكّر، الذي له مكانته في الأسرة الممتدّة (كما سنرى ذلك في الفصل الثاني).

و على العموم، فإنّ للزّواج المبكّر أضرارا منها :

1- عدم اكتمال عقل الفتى و الفتاة : فبمجرّد وقوع الزوجين في خلاف بسيط، لا يستطيع الواحد أن يتحمّل الآخر. و من ثمّ تكون النتيجة سيّئة، و هي الطّلاق، و خاصة في الفترة الأولى من الحياة الزّوجية التي تعقب شهر العسل، و "هي فترة صعبة جدّا بالنسبة

---

1 محمد غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي – ص 142

2 رواه البخاري في صحيحه.

للزوجين، إذْ تظهر فيها الاختلافات الكثيرة بينهما، و قد يتطلّب قوّة صبر و تحمّل كبيرة "[1].

2- عدم الاحساس بالمسؤولية : إذْ من المعروف أنّ الزّواج المبكّر لا يتمّ عادة بمحض إرادة الزوجين المستقبليين بقدر ما يتمّ بإرادة الأولياء ممّا ينتج عنه سوء التفاهم بين الزوجين، فضلا عن عدم تعوّد الزّوج على تحمّل مسؤولية بيت الزّوجية، ممّا يجعله يبقى يعيش عالة على عائلته.

كما أنّ زواج البنّت المبكّر لا يترك لها الوقت الكافي للنضجين البيولوجي و الاجتماعي اللّذين تتمكّن من خلالهما التكيّف مع مسؤولية الحياة الزّوجية (خدمة الزّوج، تربية الأطفال ..)

3- حاجة الفتى و الفتاة إلى اللعب : إنّ الزّواج المبكّر يحرم الفتى و الفتاة من الاشباع من حياة الطّفولة ممّا يجعلهما يحاولان متابعة هذه الحياة في بيت الزّوجية، و هذا ما يرفضه الأولياء (موقف الحماة)

سادسا : الخطبة :

و على عكس المبحث السابق الذي طالبت الأمثال فيه بالتبكير في الزّواج في سنّ الفتاة خاصة و الفتى عامة فإنّ الأولياء مطالبون بأخذ

---

1 مسعودة كمال : مشكلة الطّلاق في المجتمع الجزائري – ص 55.

الحَيْطة و الوقت الكافي في اختيار زوجة ابنهم، و لعلّ ما يوضّح هذا المطلب قولهم[1] :

" زواج لبدة تفتاشُ علم و زواج ليلة تفتاشُ نهار "[2] .

جاء هذا المثل على شكل المعادلتين التاليتين :

- الزّواج النّاجح ⇐ يتطلّب بحثا طويلا

- الزّواج الفاشل ⇐ لا يتطلّب إلاّ وقتا قصيرا.

ممّا يعني أنّنا حتّى إذا عكسنا أطراف المعادلتين فإنّ شرط نجاح الزّواج يبقى حاضرًا، و على هذا فإنّ عنصر الزّمان في عملية البحث عن الزّوجة ليس هدفًا في ذاته بقدر ما هو وسيلة للتحقّقِ من خصال الزّوجة.

و يمكن تمثيل إحداثيات هاتين المعادلتين في الرسم البياني، و ذلك انطلاقا من الفرضية التي يقترحها المثل السّابق و هي :

- زواج لبدة (∞) يتطلّب عاما (365 يوم من البحث)

- زواج ليلة (ليلة) يتطلّب نهارا من البحث.

---

1 هناك أمثال كثيرة توصي بضرورة التروي و أخذ الوقت الكافي عند الاقبال على الزّواج و منها قولهم :

- في الزواج تدبير سنة و القطعْ ساعة (بوتارن - ص 156).

- سبق الخطب قبل ما يحطب (بوتارن - ص 154).

2 مثل متداول في منطقة في تلمسان.

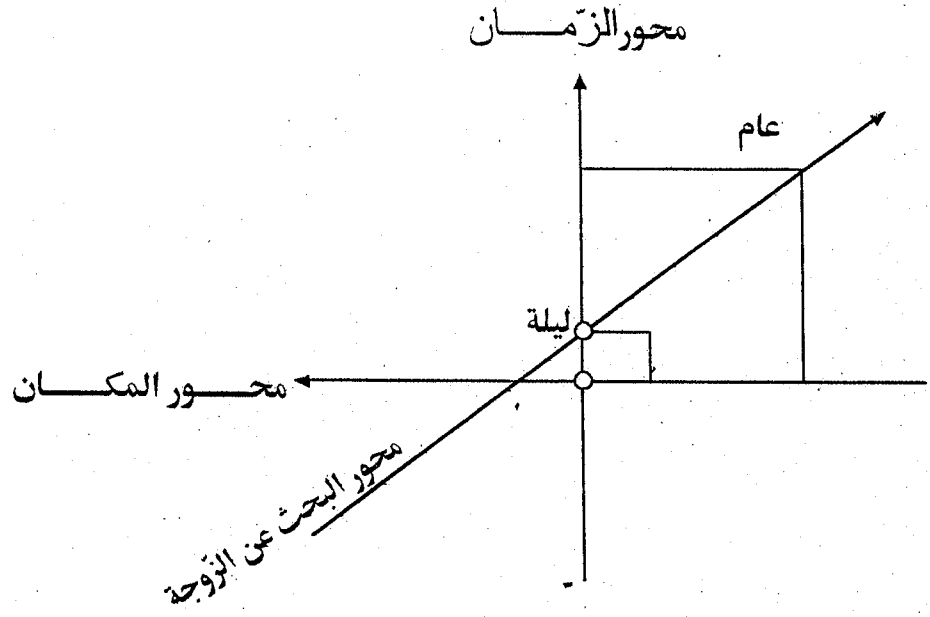

و نستخلص من هذا أنّ محور البحث عن عناصر الزّواج الأبدي (لبدة) يتعدّى نقطة (اللّيلة : 12 ساعة)- بمدّة زمنية تساوي السّنة (2 × 365).

و هذه المدّة على رمزيتها توحي بمشقّة الحصول على الزوجة التي يكون عامل الزّواج ناجحا بها. و هذا - بالطبع - يختلف في الحالة الثانية التي لا يتطلّب البحث فيها عن الزّوجة إلاّ ($\frac{1}{2 \times 365}$).

ذلك فيما يتعلّق بعامل الزّمان في عملية البحث عن عناصر الزّواج الناجح، غير أنّ عملية البحث هذه لا يتحكّم فيها عنصر الزّمان فحسب و إنّما - طبقا للمثل السابق، فإنّ لِعُنْصُر الماكن حضورا أيضا، و هذا ما يُفْهم من سياق المثل ذاته، إذ إنّ عملية البحث التي تتطلّب حيِّزا طويلا من الزمن تتطلّب أيضا حيّزا واسعا من المكان، بمعنى أنّ عملية الخطبة تطول بتوفّر و تعدّد العائلات التي يُشترط أن يزورها

أولياء الزوج قصد البحث عن الزوجة المناسبة التي تجعل الزّواج يدوم (α) (زواج لبدة تفتاش عام)[1] .

و هكذا فإنّ هذا المثل لا يقتصر على طلب التأتي في عملية البحث عن الزّوجة المناسبة فحسب و إنّما هو يدعو أيضا إلى توسيع مجال أو دائرة البحث في وسط العائلات المختلفة. فهو لا يُحدِّد زمانا مُعيَّنا و لا مكانا مُحدَّدا بقدر ما يترك المجال مفتوحا أمام أولياء العريس للبحث عنّ العروس حتّى تُضمن الدّيمومة في العلاقة الزّوجية.

سابعا : المهر :

تعريفه :

لغة : الصّداق بِفَتح الصّاد مأخوذ من الصدق لدلاليته على صدق الزوجين في موافقة الشرع، و لإشعاره بصدق رغبة الزّوج في الزّوجة.

قوله : **صداق و مهر نحلة و فريضة**

حباء و أجر ثمّ عقر علائق

---

1 للتوسّع أنظر : عبد المالك مرتاض – عناصر التراث اشعبي في "اللاّز" دراسة في المعتقدات و الأمثال و الأمثال الشعبية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص 46.

اصطلاحا : يتّفق الاصطلاح مع اللّغة في معنى المهر، و هو المال الملتزم به للمخطوبة لملك عصمتها، و قيل اسم للمال الذي يجب للمرأة في عقد النّكاح في مقابلة الاستمتاع بها[1] .

" من حسن رعاية الاسلام للمرأة و احترامه لها، أن أعطاها حقّها في التمسّك. إذْ كانت في الجاهلية مهضومة الحقّ مهيضة الجناح، حتّى أنّ وليّها كان يتصرّف في خالص ما لها، لا يدعُ لها فرصة التملّك، و لا يمكّنها من التصرّف.

فكان أن رفع الاسلاّم عنها هذا الإصر، و فرض لها المهر وجعله حقًّا على الرجل لها و ليس لأبيها، و لا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئا منها إلاّ في آجال الرّضا و الاختيار[2] . قال الله تعالى :" و آتوا صدقاتهنّ نِحلةً، فإنْ طِبنَ لكمْ عَنْ شيءٍ منه منسًا فَكُلُوهُ هنيئًا مرِيئًا[3] .

---

1 د. جبر محمود الفضيلات : بناء الأسرة المسلمة – على ضوء الفقه و القانون – دار الشهاب للطباعة و النشر – باتنة – الجزائر 1987 – ص 148. و للتوسّع أيضا، أنظر محمّد البشير الابراهيمي – عيون البصائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ص 364/360)

2 السيّد سابق : فقه السنّة – المجلد الثاني – الطبعة الرابعة – 1983 م – ص 135.

3 سورة النساء – الآية 4.

فالعلاقة الزوجية لا تكتمل شروطها الشرعية إلاّ بعدما يوفّر الخطيب للمخطوبة المهر المشروط أو المتّفق عليه[1] .

و على الرغم من أنّ الشّريعة الاسلامية لم تُحدّد مقدار المهر، كما لم تُحدّده قوانين الأسرة الجزائرية، فإنّ تحديد مقدار المهر قد تُرِك للعرف[2] ، ممّا جعله يرتفع ارتفاعا جنونيا في منطقة تلمسان و على الخصوص في الرّبع الأخير من هذا القرن.

و لا ريب في أنّ لهذا الارتفاع التصاعدي السريع آثارًا سلبية على عملية الزّواج ذاتها. إذْ يلاحظ أنّ عدد المقبلين على الزّواج من الشباب و الشابّات قد بدأ يتضاءل عامًا بعد عامٍ، في الوقت الذي ما انفكّ عدد العوانس يرتفع، و قد أدّت هذه الظاهرة إلى انتشار كثير من الآفات الاجتماعية بين الشّباب ممّا جعل ظاهرة الزّنا تنتشر بسرعة في هذه المنطقة، و هذا ما دفع رجال الدّين إلى التصدّي لها[3] .

---

1 لا نريد أن ندخل في موضوع مقدار المهر و نوعيته و لا فيما اشتركته السنّة النبوية الشريفة و ذلك تجنُّبا للابتعاد عن موضوعنا.

2 للتوسّع أنظر : Pierre Bourdieu - Opcit : P. 14 - 18.

3 يقول الشيخ البشير الابراهيمي :" نحن لا نبذّر أحكام الله، و لا نقول بتحديد الصّداق، و لكنّنا نقول و نُكرِّر القول: إنّ المغالاة في المهور أفضت بنا إلى مفسدة عظيمة، و هي كساد بناتنا و إعراض أبنائنا عن الزواج، و اندفاعهم في رذائل يعين عليها الزمان و الشيطان، فعلى المسلمين أن يذللوا هذه العقبات الواقعة في طريق زواج بناتهم و أبنائهم، و أن يَقتلوا هذه العوائد الفاسدة المفسدة، و أن يُيَسِّروا و لا يُعسِّروا و أن يعتبروا في الزواج حُسن الأخلاق، و لا وفرة الصّداق و في الزوجة الدّين المتين، و لا الجهاز لثمين "

و لمّا كان لهذه الظاهرة أخطار على الشّباب الاسلامي، فإنّ السنّة النبوية الشريفة سبق لها أن دعت إلى الرّفق بالخطيث في قضيّة المهر، إلى درجة أنّ النبيّ ﷺ قال :

" تزوّج و لو بخاتم من حديد "[1]

غير أنّ ما زاد الاشكال تعقيدًا أنّ الغُلُوَّ في المهر لم يتوقّف عند الأسر الثريّة و إنّما شمل كلّ أنواع الأسر في المنطقة و على الخصوص في المدن، بحيث صار التباهي بالصّداق المرتفع بين الأسر علامة ارتفاع المكانة الاجتماعية لها[2]. و لو أدّى هذا بأهل الخطيب إلى الاقتراض لتسديد تكاليف المهر، و هذا ما يبعث على القلق إذْ أنّ الاهتمام بعنصر المال (المال) قد يخفي داخله إقصاء العناصر الأخرى (النسب، الجمال، الدّين).

يشخّص هذه الظاهرة أمثال كثيرة منها قولهم : " الحدايد للشدايد "[3].

و إذا كانت (الشّدايد) تعني في هذا المثل ما قد يُصيب العائلة (الزوجين) من ظروف قاسية، فإنّ كلمة (الحدايد) تعني ما

---

1 رواه البخاري في صحيحه.

2 عمر ديدي : العرف كمصدر للقانون و الثقافة – ص 139.

3 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 141.

يقدّمه الزوج لزوجته ضمن المهر من جواهر، تدّخرها الزّوجة – عادة – لأيّام الشدّة.

كما يُفهم من هذا المثل أيضا أنّ عنصر الادّخار (الصّياغة)[1] لا يُقصدُ به الأجل الآني و إنّما يُقصدُ به الآجال البعيدة : (من أمراض مزمنة أو وفاة الزوج خاصّة)، إذْ تعدُّ (الحدايد) – أي الجواهر الدهبية و الفضيّة – بمثابة صندوق الادّخار الذي يُرجعُ إليه في حالة حلول مصيبة ما على العائلة. هذا ما جعل الحدايد تقوم مقام اللُّقاح الواقي من آفات الفقر في مفهوم هذا المثل.

و لمّا كانت العائلة الجديدة تحتاج إلى نوع من الضمان يقيها شرّ عواقب الزمان، فإنّ وصيّة هذا المثل تبقى قاعدة أساسية لكلّ عائلة تريد الاحتياط من ظروف الدّهر[2] .

غير أنّ ما تجب الاشارة إليه هو أنّ المهر لا يفرض على الذّكر وحده بل يُفرض أيضا على الأنثى، فالفتاة مسؤولة أيضا على تجهيز بيت الزّوجية المستقبلي ممّا يُحتّم على والديها تحضير (الزّهاج)[3]

---

1 الصّياغة معناها الجواهر الذهبية و الفضيّة.

2 للتوسّع أنظر مثلا : Fatima Mernissi - Sexe, Idiologie, Islam - traduit de l'anglais par : Diane Brower et Anne Marie polletin - Ed. tièrce - 1983 - p. 171/178

3 الزّهاج كلمة اصلها الجهاز حوّرت إلى كلمة الزّهاج كما يُطلق عليها أيضا الشّهرة. و للتوسّع أنظر : عبد القادر جعلول : المرأة الجزائرية – ط 1 – دار الحداثة – لبنان .

و على الخصوص أمّ الفتاة التي تقع عليها انتقادات الحاضرين يوم الزّفاف إذا لم يكن جهاز ابنتها مرضيًّا لعائلة الزّوج التي جاء المثل التالي على لسانها :

" البَنْت احبات شوف يمّها أَسَمْ خبّات "[1] .

ما يهمّنا في هذا المثل هو المدلول الذي يتمثّل في أنّ للزّواج شرطا أساسيا – إضافة إلى الشروط الأخرى التي ذكرناها – و هو كفاءة المرأة و قدرتها على تهيئة ابنتها، و قد يستغرق هذا التحضير وقتا طويلا (احبات) أي منذ الصغر كما يتطلّب أموالا باهضة.

و كما سبقت الاشارة، فإنّ هذا الفعل هو تحقيق لمطالب أولياء الزّوج و لإظهار مكانة عائلة الزّوجة أمام النّاس. و يظهرُ ذلك جليّا في المثل التالي:

" سلّح بنتكْ و خرَّجْها قدّام النّاسْ "[2] .

و يُمكن تحليل هذا المثل على مستويين :

- **المستوى الأوّل** : يحتوي على الثنائية (سلّح) و (خرّج).
- **المستوى الثاني**: يحتوي على الثنائية الكاف و النّاس.

---

1 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

2 مثل متداول في منطقة تلمسان.

المستوى الأوّل يؤكّد شرط تحقيق الزّواج بتحقيق الزّهاج، إذْ يُعتبر هذا التجهيز بمثابة عتاد لخوض معركة التقييم الاجتماعي لديها و لوالديها.

المستوى الثاني يَدلُّ على دور الأولياء في تجهيز بنتهم، و يؤكّدِ هذا (الكاف) التي هي حرف امتلاك، كما يكون ذلك تحت رقابة المجتمع (الناس).

بالاضافة إلى ذلك فإنّ الزّهاج يلعب دورا كبيرا في تنافس الفتيات مع بعضهنّ البعض، فكّلّ واحدة تريد أن يكون جهازها أفضل من الأخرى، إذْ بهذا التجهيز توزن قيمة العروس و تحتلّ مكانة مرموقة بين أفراد أسرتها الجديدة[1].

و نخلص من هذا كلّه أنّ المهر في منطقة تلمسان، لا يفرض على الرّجل فحسب بل فرضه العرف على أولياء المرأة أيضا. و خير دليل على ذلك ما جاء في المثل الشعبي :

" أعطيني بنتك و هاك كْذَا و كْذَا

هاكْ عَوْلَتْها و هنّيني منّها "[2]

---

1 Chafika Dif Mahouh - Collection AL-MOUJTAMAA - fonction de la dot dans la cité Algérienne: le cas d'une ville moyenne Tlemcen et son hawz-Akger -OPU-1984 - 94.

2 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 162.

و من خلال تحليل هذه الأمثال نخرج بتحديد الاشكاليتين التاليتين :

1- يُشترط المهر في الزّواج (الحدايد)

2- الزّواج حفظ للشرف (هنّيني منّها) بدون مهر.

و نستخلص منْ هتين الفكرتين المتناقضتين وجود أسرتين مختلفتين :

1- نوع من الأسر لا يزوّج البنت حتّى يُضمَن لها مهرًا (الحدايد) و ذلك لإظهار مكانتها و ما تمتاز به من صفات (الجمال، المال، الخلق، النّسب، البكارة[1]).

2- أمّا النوّع الثاني : فبمجرّد ما يتقدّم الخطيب و أولياؤه لخطبة الفتاة يقبل طلبهم و تعطى لهم بدون شروط مؤمنين بالمثل القائل :

" اَلْهْنَى يضمن الغنى "[2] .

فالاستقرار شرط كاف لتزويج البنت، كما قد يتمّ ذلك أيضا خوفا من قضيّة العار و الفضيحة (هنّيني منّها) التي قد تجلبها البنت لأهلها إذا لم تتزوّج.

---

1 البكارة شرط أساسي في اختيار شريكة الحياة، و لم نخصّص لها مبحثا خاصّا بها و ذلك لعدم قدرتنا على العثور على أمثال دالّة على ذلك إلاّ القليل منها مثل " الحيا يْوَلّد لْفروخَة ".

2 مثل متداول في منطقة تلمسان.

و نصل من كلّ ما سبق عن المهر إلى أنّ العرف في منطقة تلمسان يتجاذبه قطبان :

- **قطب الشرف (النّسب)** : و يتمثّل في حرص الزّوجة على تسبيق عنصر الشّرف على بقيّة العناصر الأخرى التي كثيرا ما تراعي عند الاقبال على عمليّة الزّواج.

- **قطب المال (الحسب)** : و يتمثّل في حرص عائلة الزّوجة على التكفّل به قصد جعله مفتاح البحث عن ابن النّسب.

في حين تبقى عائلة الزّوج (الحطيب) سيّدة الموقف عبر كلّ مراحل الخطبة، فلها وحدها يعود القبول أو الرّفض النّهائي في هذا النّوع من العائلات.

ثامنا : يوم الزفاف

بعد أن يتمّ التفاهم بين عائلتي المقبلين على الزواج تقرأ الفاتحة، و يحدد مقدار المهر الذي اتفقا عليه، ثمّ يحدّد تاريخ الزواج.

تبدأ عملية التحضير ليوم الزفاف، و قد يستغرق هذا التجهيز عدّة شهور، كما يكلّفهم هذا الأمر متطلبات مادية و معنوية.

1- **المادية** : و تتمثل في جمع أموال باهضة لشراء مستلزمات الزواج كالذهب و الفراش و الأثاث

2- **المعنوية** : تتمثل في القدرة على النجهيز، لأنّ غسل الصوف - لصناعة الفراش - يتطلب توفّر جهود صحية للقيام بهذه المهمّة، إلاّ أنّ هذه المنطقة تتميّز بظاهرة التويزة و معناها أنّ بعض الجارات و القريبات يقمن بمساعدة أمّ العريس في غسل الصوف، مع ترديد بعض الأغاني الشعبية[1] و تبادل الزغاريد، إعلانا عن اقتراب موعد الزواج. و بعد الانتهاء تقوم أمّ العريس بتقديم أنواع من المأكولات تشكّرا لهنّ و ثناءا لفضلهنّ.

و بعد أن تتمّ تحضيّرات و تجهيزات الزواج، سواء بالنسبة للعروس أو للعريس، يحدّد يوم الزفاف، و قبل أسبوع تبدأ عملية دعوة الأقارب و الأصدقاء و الجيران.

و غالبا ما يكون يوم الأربعاء هو اليوم الذي يأتي فيه المعازيم عند العروس و يسمّى هذا اليوم (بيوم الحنّاء).

و عند قدوم الناس تكون العروس مزيّنة تنتظر الفتيات و النساء اللواتي يغنّين و يرقصن لمشاركتها فرحتها.

و من المأكولات المشهورة في هذه المنطقة في يوم الزفاف : الحريرة و البرقوق أو الزبيب و اللّوز، تتلُوها مشروبات مع أنواع متعددة من الحلويات.

---

1 يا محمّد يا تزدام الرّيش أنرْفَدَك أُمَ تْعَيّنيشْ

و لا شكّ في أنّ هذا يكلّف الكثير لأنّ " هذه المناسبة عبارة عن إعلاء عن الوضعية الاجتماعية بل من أجل تأكيدها أكثر فأكثر و هذا لمحاولة قيام العائلة بإظهار القيمة الكبرى لنفوذها و أهليّتها "[1].

و بعد الانتهاء، يسلّمون على العروس و يودّعونها، و في هذه اللحظة تبدأ في البكاء لأنّها اللحظة الحاسمة للإبتعاد عنهنّ و مغادرة منزل أبيها مقتحمة منزلا أخر غريبا عنها.

و غدا مساءا، تبدأ أخواتها أو قريباتها بتزينها و تهييئها لدخول مرحلة الزواج روحيا و نفسياً.

و أوّل شيء يُلفت الانتباه هو نوعية اللباس الذي ترتديه العروس يوم الزواج، و قد يُلبس خاصة في منطقة تلمسان – عادة – يوم الزواج و يسمّى بالقفطان[2] و يتبعه (المنادل) و (المنسوج)[3] و جمع عدد هائل من المجوهرات –حتّى و إن كلّفهم الأمر باقتراضها لتزيين العروس –[4].

---

1 مسعودة كمال : مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري – ص 92.

2 لباس مرصّع بالخيط الذهبي.

3 نوع من القماش الذهبي موجود بتلمسان تلبسه العروس.

4 سنورد في الملحق صورة عروس تمثل هذا العادة.

و في المساء تأتي مجموعة من السيارات المزيّنة تحمل العروس إلى بيت الزوجية و يكون ذلك عادة – في يوم الخميس[1] – و هناك في بيت العريس يكون الأقارب و الجيران و الأصدقاء في انتظار قدوم العروس و رؤيتها. فإذا كانت جميلة يقولون : (" استر عليها " و إذا كانت قبيحة يقولون :" مْشَا حتّى للبْحَرْ و جَابْ البْعَرْ " أو " مْشَا حتّى لْبَرْ النْسا و جَابْ وَحْدَة عَوْرَة " أو " صَامْ عَامْ و فْطَرْ عَلَى جْرَادَة ")[2].

و تردّد هذه الأمثال خاصة في ظروف معيّنة مثل الغيرة – خاصة – إذا كان لهنّ بنات لم يتقدّم العرسان لخطبتهنّ.

و في هذا المساء يأتي أهل العريس و أصدقاؤه يرقصون و يمرحون معبّرين عن فرحتهم ، و في اللّيل يقوم العريس بفضّ البكارة و ذلك إعلانا عن أنّ العروس قد أصبحت زوجة و إمراة مستعدّة لإقتحام هذه المرحلة و اتّباع قواعد و أحكام تفرضها الحياة الزوجية.

و في الصباح أي يوم الجمعة، تأتي أمّ العروس و معها بعض النساء من قريباتها و جيرانها محمّلة بأنواع من الحلويات أي (العوايد)، حيث تقوم بتحضير القهوة و الشاي في منزل عائلة ابنتها الجديد لتقدّمها للمدعوين.

---

1 يُختار هذا اليوم لكونه عطلة أسبوعية.

2 أمثال تردّد في منطقة تلمسان.

و تقوم العروس بلبس كلّ ما أتت به من منزل أبيها قصد استعراض ألبستها، و ذلك إعلانا عن مكانة و وضعية أهلها أمام المدعوّين و أمام أهل زوجها، و هي أيضا طريقة يُقصد بها إظهار ما تضمّنه مهرها من مجوهرات و ألبسة فاخرة.

و على العموم، فإنّه على الرغم من التشابه الشّديد في شروط الزّواج بين مناطق الجزائر كلّها، فإنّ ذلك لا ينفي وجود اختلاف نسبي من منطقة إلى أخرى. إذْ لكلّ منطقة عاداتها و تقاليدها تكاد تميّزها عن المناطق الأخرى، و قد تجلّى ذلك من خلال تتابعنا للأمثال السابقة التي أوصلتنا إلى تحديد بعض قواعد الزّواج في منطقة تلمسان و منها على الخصوص :

1- اختيار الأولياء للعروس : تتمّ عمليّة اختيار العروس داخل العائلة المحافظة عن طريق الأولياء، إذْ يعود لهم وحدهم أمر القبول أو الرّفض.

2- اختيار العريس لعروسه : و على خلاف العائلات المحافظة فإنّ العريس في العائلات المتفتّحة هو الذي يقوم باختيار عروسه.

3- خصائص العروس : أمّا الشروط التي ينبغي أن تتوفّر في العروس فهي (تماشيا مع عادات سكّان هذه المنطقة) تتلخّص في ضرورة توفّر مجموعة من الخصال جمعها الحديث الشريف :" تُنْكحُ

المرأة لأربع لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها، فاظفر بذات الدّين، تَرِبَتْ يداك "[1]

و على العموم، فإنّ قواعد الزّواج في منطقة تلمسان تبقى خاضعة لِمَا تخضع له ظاهرة الزّواج في الجزائر كلّها، و ذلك باستثناء بعض الخصوصيات التي لا تزال تطبع أمور الزّواج في هذه المنطقة و اتي سبقت الاشارة إلى بعضها و سيأتي الحديث عن الخصوصيات الأخرى في الفصلين الآتيين.

1 رواه البخاري و مسلم (عبد الحميد خراز : فلسفة الزّواج و بناء الأسرة في الاسلام – ص 77).

الفصل الثاني

القبيلة

أوّلا : الزّواج الدّاخلي

ثانيا : الزّواج الخارجي

ثالثا : تعدّد الزّوجات.

رابعا : الانجاب

خامسا : التنشئة الاجتماعية.

تعرّف القبيلة " بأنّها وحدة اجتماعية تجمع عدّة عشائر محليّة، تتميّز بوحدة المكان و اللغة و الثقافة، و لا يكوّن كلّ عنصر من تلك العناصر وحدة القبيلة و إنّما لابدّ من توافر تلك العناصر معًا "[1] .

ممّا يعني أنّ القبيلة وحدة متكاملة، تجمعها نواة عائلية، تفرّعت بمرور الزّمن إلى ان أصبحت قبيلة، فضلا عن أنّ القبيلة في ضوء هذا ا المفهوم تبقى محصورة في دائرة التقاليد و العائلات الواحدة، كما أنّ العناصر الأساسية التي تشدُّ أواصر هذه القبيلة تكون دائما مجتمعة إذْ بغياب أحدها تفقِد القبيلة مفهومها.

و بالاضافة إلى هذا، فللقبيلة عوامل مشتركة تعود إليها للمحافظة على بقائها و على استمراريتها. و من ذلك : الزّواج. و قد يكون داخليّا كما قد يكون خارجيا.

أوّلا : الزّواج الدّاخلي

من الأمثال الّتي تبدي فيها الذّهنيّة الشّعبيّة حرصا شديدا على الزّواج من داخل العائلة قول حكيمهم :

" زِيتنا في بِيتنا "[2]

---

1 عاطف وصفي : الانتربولوجيا الاجتماعية – دار النهضة العربيّة للطباعة و النشر – الطبعة الثالثة – بيروت – 1981 – ص 113.

2 قادة بوتارن : المرجع السابق – ص 154. كما يتردّد هذا المثل في أنحاء الوطن العربي بصيغة أخرى هي : " زيتنا في دقيقنا ".

" ملّس من طينك يسْجَى لك "[1] .

" خـذ الطّريق الصّحيحة و لو دارت و خـذ بنـت العَـمْ و لـو بارت "[2] .

تدخـل هـذه الأمثـال فـي صميـم العلاقـات الاجتماعيـة القائمـة علـى الترابط العائلي، حيث إنّنا كثيرا ما وجدنا عـائلات فـي هـذه المنطقـة قد حصرت الزّواج في بنات العمومة أو من بنات الخُؤولة.

و لعلّ من أسباب هذا الاقدام، هو أنّ هذا النّوع من الفتاة يكون مأمون السّلوك فضلا عن أنّها لا تُكلّف راغب الزّواج بالبحث عن نسبِها و حسبها[3] . كما قد يكون الاقدام على الزّواج الداخلي بدافع الحفاظ علـى الملكيّة أي تأكيد بقاء الارث داخل مجموعة القرابة[4] طبقا للمثل الشـعبي :"اللّي باع أرضه، باع عرضه"[5] .

و ممّـا تجـب الاشـارة إليـه أيضـا أنّ هـذا الـزّواج يحمـي بنـات القرابـة مـن أن تُصبـح عانسـا " لأنّ الفتـاة إذا مـا تقدّم بهـا السـنّ

---

1 قادة بوتارن : المرجع السابق – . – ص 158.

2 المرجع نفسه – ص 153.

3 طبقا للمثل السابق :" خذ بنت الحسب و النسب "

4 محمد رياض : الانسان، دراسة في النّوع و الحضارة – ص 492.

5 الثقافة الشعبية : مجلة تُعنى بمواد التراث الشعبي – تصدر عن معهد الثقافة الشـعبية بجامعة تلمسان – العدد 2 – 1415 هـ – ص 68.

فقد تفكّر في طرق أخرى غير شرعية "[1] ممّا لا يجلب العار لأسرتها فحسب بل للعائلة الكبرى كلِّها.

و عليه فإنّ – من باب الاتّقاء لما قد يحدث من خلل في هيكل الشرف العائلي – يكون الزّواج من الفتاة القريبة ليس مستحبّا فحسب بل واجبا[2] .

كما قد يكون هذا الزّواج رغبة في التماسك العائلي و الاعتداد بالعصبية الاسرية[3] و العصبيةِ تكون من خلال الالتحام بالنّسب أو ما في معناه. فكثيرا ما ترى بعض العائلات نفسها أرقى من غيرها، ممّا يجعلها تخشى اختلاط التقاليد و العادات عند الزّواج من خارج العائلة، ممّا يعني عدم وجود مكانة للغريب بينها، و هذا ما يُشجّعها على التشبّث بالزّواج الدّاخلي[4] .

---

1 فوزية دياب : القيم و العادات الاجتماعية – ص 151.

2 للتوسّع أنظر : محمد بشير – المرجع السابق – ص 74/64.

3 فوزية دياب : القيم و العادات الاجتماعية – ص 151.

4 تاريخ العلاّمة ابن خلدون – المقدّمة : كتاب الخبر و ديوان المبتدإ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر – الدّار التّونسية للنشر – 1984 – ص 174.

كما أنّ هذا النّوع من الزّواج لا يوجد في الرّيف فقط كما أشارت إليه فوزية دياب[1] و إنّما هو يوجد في المدينة أيضا، و ممّا يؤكّد هذا أنّ في تلمسان تُعدُّ هذه الظاهرة عادة ثابتة بحيث لا يتزوّج الرّجل التلمساني إلاّ نادرًا بغير قريبته[2] .

هذا ما ينطبق على اختيار شريكة الحياة، أمّا فيما يتعلّق بشريك الحياة فإنّ العائلة تُفضّل أن يكون الخطيب من داخلها أيضا، و إن كانت ظاهرة اختيار العريس في هذه المنطقة تبقى عملية ضمنية أو مستتيرة، ممّا يعني أنّ عصمةّ الخطوبة تبقى في يد الرّجل. و هذا ما يجعل العائلة تحاول أن تبحث – بطريقة غير مباشرة – داخل العائلة الكبرى عن خطيب يناسب طموح بنتهم.

و نظرا إلى أنّ الظروف المستجدّة بفضل دخول الفتاة إلى المدرسة و وصول الكثيرات منهنّ إلى الجامعة، ممّا يجعل سنّ الزّواج عند الفتاة يتأخّر عن مستواه السّابق، و نظرا إلى ما قد ينتج عن هذا التأخر من (تعنّس) الفتاة، فإنّ عائلات كثيرة لا تزال تعمل بمنطق المثل الذي يُرغّب الولد في الزّواج من بنت عمّه و لو (بارت) أي و لو كانت عانسا.

---

1 فوزية دياب – المرجع السابق – ص 151.

2 للتوسّع أنظر مثلا : - Chaulet (CL) : La terre, les frères et l'argent

Alger - OPU - 1987

p. 205.

و نظرا إلى أنّ هذه الظاهرة صارت منتشرة فإنّ بعض النّساء بدأت تُسارع إلى زيارة أضرحة الأولياء لحلّ المشكلة. كما دفعت هذه الظاهرة كثيرا من الأمّهات إلى استشارة العرّافات قصدَ حلّ أزمة بناتهنّ بما تقدّمه لهنّ من عقاقير مهلكة.

نستنتج من مضامين أمثال الدّاعين إلى الزّواج الدّاخلي التعصّب القبلي[1]. و هذا من مخلّفات الاعتقادات السّائدة في هذه المنطقة. إضافة إلى الأسباب الأخرى التي ذكرناها كالحفاظ على الإرث و مشكلة العانس و حفظ الشرف، ممّا يؤكّد أنّ منطقيّة الأمثال السابقة تسود المجتمع الجزائري في هذه المنطقة خاصة و الجزائر عامّة.

نصل من هذا كلّه إلى نتجية مؤدّاها أن الزّواج الدّاخلي في هذه المنطقة يخضع لقاعدة أكّدتها الأمثال الشعبية التي مفادها أنّ عمليّة الزّواج تبقى محصورة داخل دائرة أو مجموعة واحدة، و أنّ أي خروج عن هذه المجموعة لا يُشكّل – في حقيقة الأمر – فرقا للمجموعة الأمّ، بقدر ما هو يمثّل حيّزا تربطه علاقة ما بالمجموعة الأم[2] و يعني

---

1 للتوسّع أنظر : الثقافة الشعبية : مجلّة تُعنى بمواد التراث الشعبي – ص 68. و محمد عاطف غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي – ص 128.

2 للتوسّع أنظر

Ali Kouaouci : Familles, Femmes et contraception - contribution à une étude sociologique de la famille algérienne - Alger - CENEAP - PNUAP - 1992 - P112/113

هذا أيضا أنّ ما يظهر – في بعض الأحيان – من شبه و تمرّد على هذه العادة داخل العائلة المغلقة فهو مجرّد محاولة انفصال إذ يبقى مآلها الفشل كون العائلة ستعارض هذا التمرّد بمقاطعة العريس و عدم مراعاتهما داخلها، ممّا يؤدّي بهما إلى الافتراق و من ثمّ الطّلاق.

ثانيا : الزّواج الخارجي

بعدما تعرّفنا على الزّواج الدّاخلي و توصّلنا إلى دوافعه و أسبابه، نحاول البحث في الزّواج الخارجي في ضوء المثل الشعبي المتداول في هذه المنطقة.

1- " تْزوَّجْ المرَا البعيدة، و احْرثْ الأرض القريبة "[1] .

2- " عْليكْ بالسَّانية القريبة و المرَا الغْريبة "[2] .

واضح أنّ الباثّ الشعبي، يقرن نصّ هذا المثل بين معنيين اثنين يعكسهما لفظا (تْزوّج) و (احرث) و هذان المعنيان كانا سببا في وجود علاقة بيولوجية جديدة تفضي بدورها إلى استمرار النّوع.

---

1 عبد المالك مرتاض : الأمثال الزراعية – ص 28

2 الطّاهر أحساين : الوظيفة التربوية في الأمثال العامية الجزائرية – رسالة لنيل شهادة الماجستير – معهد الثقافة الشعبية – تلمسان – 1414 هـ/1994 م – ص 134.

فالزّواج هو أصل الحياة، و هو وسيلة لحفظ النّوع البشري و هو الذي يُنشيء أُسرًا جديدة، و هو الذّي بفضله يُصبح الابن أبًا، ثمّ يُصبح ابنه ذاك أبًا

آخر، إلى أن يرث اللّه الأرض[1] .

و إذا كان الزّواج الدّاخلي هو، كما يعرّفه صلاح مصطفى الفوّال الذي " يُحافظ ... على تماسك الوحدة القرابية أيًّا كانت (أسرة، فخذًا، بطنًا، عشيرة ...) و تدعيمها عن طريق المصاهرة بذوي القربى مع ما في هذه المصاهرة من حفاظ على ثروة الوحدة القرابية من أن تبدّد بانتقالها مع النّسب إلى وحدات في حالة الزّواج الخارجي ". فإنّ " الزّواج الخارجي ... يؤدّي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسيع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى جديدة معَ ما يصحب هذه العلاقات الزّوجية من مصالح و روابط اقتصادية و اجتماعية كثيرة و متنوّعة "[2] .

و نبقى دائما في تحليل هذا المثل، فالدّال (بعيدة) قد تدلُّ على ثلاث صفات :

1- بُعْد منزل عائلة الزّوجة عن منزل عائلة الزّوج، حتّى لا يتسنّى للزّوجة زيارة أهلها إلاّ في أوقات متباعدة، ممّا يُقلّل من نشوب

---

1 عبد المالك مرتاض : الأمثال الزراعية – ص 28

2 صلاح مصطفى الفوّال : علم الاجتماع البدوي – تقديم أحمد محمّد خليفة – دار النّهضة العربية – القاهرة – 1974 – ص 60.

اختلافات بين الزّوج و زوجته يكون عادة مصدره الحماة طبقا للمثل القائل :

" البنت بَنْت امّـهَا تْعمَّرْها و لاَّ تَخليها "[1] .

2- بُعد نسب الزّوجة عن نسب الزّوج، فهي ليست من أقربائه، لأنّ للقرابة - أحيانا -عواقب وخيمة و ذلك طبقا لأمثال كثيرة منها قولهم :

" بَنْ عمَّكْ هُوَ همَّكِ "[2] .

" الأقارَبْ كالعقارَبْ "[3]

و قول عبد الرحمان مجدوب :" نوصيِّك يا حارث الدُّوم، و الدُّوم كثروا نفاعه، و الدَّم ما ينفعْ الدَّمْ،يا ويحْ من خانته ذراعه "[4] .

3- أو أن تكون من جنسية غير جنسية الزّوج.

و قد جاء التقابل بين الزّواج و الحرث، و المرأة و الأرض طبقا لتشابه النّتائج.

---

1 مثل يتردّد في منطقة تلمسان.

2 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية - ص 144.

3 عبد المالك مرتاض:الأمثال الشعبية الجزائرية-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائري-1982- ص 32.

4 عبد الرحمان مجدوب : القول المأثور - ص 6.

و يخصُّ هذا المثل المرأة بالحضور من دون الرّجل، فالأرض و المرأة كلاهما منجب، فالأولى تُثْمر و الثانية تلِدُ. ممّا يعني أنّهما يتشابهان في العطاء و يختلفان في الصّفات حسب المثل السّابق. فإذا كان يشترط في الأرض قُربَها حتّى تسهل خدمتها، فإنّ على العكس من ذلك يشترط في المرأة بعدها بمستويْهِ : النسبي و الجيوغرافي، حتّى لا تتعرّض الحياة الزّوجية إلى ما يُثير القلق فيها[1] .

إنّ العبارة (تزوّجْ المرا البْعيدَة) تُسايرُ إلى حدٍّ بعيدٍ المَرجعية الدّينية[2] .

بالاضافة إلى ما سبق، فإنّ البحوث العلمية تؤكّد أنّ كثيرا ما ينتج عن الزّواج منَ القريبة (الزّواج الدّاخلي) أمراض و عاهات وراثية، إذ توصّل العلم الحديث إلى نسبة الاصابة ببعض الأمراض الوراثية يسهل في حالة الزّواج الداخلي عنه في حالة الزّواج الخارجي[3]

و نخرج من هذا إلى تشخيص المعادلة التالية :

المرأة ← البعيدة

الأرض ← القريبة

---

1 عبد المالك مرتاض : الأمثال الزراعية – ص 32/28.

2 قال النبيّ ﷺ :" اغتربوا و لا تضوُوا " و قد أُقيم النّهي هنا على عِلّة الضّوء، أي الهزال. كما ورد عنه ﷺ قوله :" لا تنكحوا القرابة، فإنّ الوَلَدَ يخلق ضاويا " (عن عبد الحميد خراز : فلسفة الزّواج و بناء الأسرة) – ص 88/87.

3 عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 27.

ممّا يؤدّي – في حالة انعكاس طرفي المعادلة – إلى اختلال في التّوازن، و من ثمّ إلى اختلال في عملية الزّواج.

بمعنى أنّ شرط (البعد) ضروري لنجاح الزّواج الخارجي، كما أنّ شرط القرب ضروري لنجاح استغلال الأرض.

و هكذا، فإنّ العلاقة الجدلية بين الزوجة البعيدة و الأرض القريبة تبقى خاضعة لعادات و ظروف تتحكّم فيها أنماط اجتماعية و ثقافية تختلف باختلاف الزمان و المكان، فضلا عن إمكان تأثّرها بعوامل خارجيّة كالغزو الثقافي أو الهجرة العائلية من مجتمع ريفي إلى مجتمع حضاري أو العكس.

ثالثا : تعدّد الزوجات

و إذا كان مطلب الانجاب ضروريا بعد عملية الزّواج، فإنّه كان أيضا دافعا مباشرًا – عند العائلة في هذه المنطقة عامة و العائلة الريفية على الخصوص – إلى تعدّد الزّوجات، إذ تُعدُّ هذه الظاهرة وسيلة أساسية للاكثار من الانجاب من جهة و لإرضاء الشغف الحسّي للزّوج من جهة أخرى[1] .

و هذا ما يُعبّر عنه المثل القائل :

---

1 عبّاس محمود العقاد : المجموعة الكاملة – العبقريات الاسلامية – المجلد الأول – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط 1 – 1974 – ص 120.

" تَبْدال السروج راحة "[1] .

ذلك فضلا عن أنّ التعدّد قد يحمي الزّوجة العقيمة أو المريضة من الطّلاق، إذ كثيرا ما يكون الوفاء بينها و بين زوجها هو الاتّفاق على الزّواج من ثانية، إلى درجة أنّ بعض الضّرائر يَعِشن تحت سقف واحد. و نستخلص أيضا أنّ للرجل الحقّ في إعادة الزّواج مرّة ثانية و ثالثة و رابعة[2] .

كما أنّ من الدّوافع الرّئيسية لتعدّد الزّوجات هو تحصين الرّجل من الوقوع في فواحش الزّنا[3] ، و هذا ما يؤكّده المثل القائل :

" مْياتْ زْواجْ وْ لاَ مَعْصية "[4] .

فمضمون هذا المثل هو أنّ للنّساء مناصب في الإطار الثّقافي الأسري، و بينهنّ درجات متفاوتة ممّا جعل الأسرة تسمح بإعادة الزّواج، كما أنّ الرّجل " إذا لم يستطع أن يجعل من المرأة الأخرى زوجة شرعية، فسوف يضطرُّ إلى اتّخاذها خليلة غير شرعية، و إنّه

---

1 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية الشعبية – ص 153.

2 و هذا طبقا للشريعة الاسلامية (و إن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النِّساء مثنى و ثُلاث و رُباع فإن خِفتم ألاّ تعدِلوا فواحدة أو ما مَلَكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعدِلوا) – النِّساء : 3.

3 شايف عكاشة : مدخل إلى عالم المنهج الاسلامي، قراءة في القرآن و الإنجيل و التوراة، النّهي عن المنكر – الجزء الثاني – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1993 – ص 60.

4 مثل يتردّد في منطقة تلمسان.

لمنَ الخير للمجتمع و للمرأة و الأولاد أن تكون المرأة الأخرى شرعيّة و علنيّة، بدلا من أن تكون خليلة سريّة غير شرعية كما هي الحال اليوم في البلاد الغربيّة "[1] .

إنّ رفض الغرب لتعدّد الزّوجات أدّى إلى انتشار الفواحش و ما نتج عنها من أمراض خطيرة كالسّيدا و ما إلى ذلك من أمراض جنسية. ممّا دفع بعض الجمعيات الغربيّة إلى النّداء بهذا النّظام. " ففي انكلترا كتبت الكثيرات من النّساء الانكليزيات في الصّحُف السيارة و غيرها المقالات الطوال يدعينّ فيها للأخذ بنظام التعدُّد الاسلامي، بل إنّ طائفة من رجال الدّين و من رجال البحث قرّرت الدّفاع عن نظام تعدّد الزّوجات و المطالبة به "[2] .

و قد ذكر الخطيب المكّي في تفسيره المشهور :" إنّ وكالة رويتر نقلت منذ سنوات قليلة خبرا من لندن يقول: إنّ أربعة من كبار القسس بزعامة أسقف كانتربري – و هو من أكبر رجال الكنيسة البروتستانية – قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين في لندن و

---

1 عليّ عليّ سليمان: نظرات قانونية مختلفة – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – 1994 – ص 73. و أنظر أيضا: Fatima Mernissi - Merci ediololgia; Islam - P. 32/35.

2 د. نور الدّين عتر : ماذا عن المرأة ؟ – الطبعة الرّابعة مزيدة – دار الفكر – دمشق – ساحة الحجاز – 1981 – ص 154.

أصدروا قرارا دافع عن نظام تعدُّد الزّوجات و طالبوا بإباحته للمسيحيين من أجل المثلحة العامة و مصلحة النِّساء أنفسهنّ "[1] .

و في ألمانيا، يُصرح الأستاذ فون اهرمسلس :" بأنّ قاعدة تعدُّد الزّوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية "[2] .

لقد شرّع الاسلام تعدُّد الزّوجات حيث سَمَح للرّجل بالزّواج مرّة و ثانية و ثالثة و رابعة بشرط لأن يَعدِل بينهنّ[3] خصوصا إذا توفّرت لديه القدرة الماديّة و هذا ما يؤكّده المثل التالي :

" اللّي كْثرْ مالوُ يَبني و لاّ يَتزوّجْ "[4] .

لكنّ قانون الأسرة الجزائري الجديد لا يسمح للرّجل بإعادة الزّواج إلاّ إذا كان له عذر شرعي: "يتمثّل عادة في مرض الزّوجة مرضا مزمنًا يُعطّلها عن القيام بالواجبات الزّوجية، أو يعطّلها عن القيام

---

1 المرجع السابق – ص 154.

2 المرجع السابق – ص 154.

3 و هذا طبقا للشريعة الاسلامية (و إن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النِّساء مثنى و ثُلاث و رُباع فإن خِفتم ألاّ تعدِلوا فواحدة أو ما مَلَكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعدِلوا)–النِّساء: 3.

4 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 152.

بالشؤون المنزلية و العناية اللازمة بالأولاد، و في العقم و عدم الانجاب و ما شابه ذلك "[1] .

و ممّا تجب الاشارة إليه هي الظّواهر السّلبية التي تنجم عن هذا التعدّد و هي تتمثّل – عادة – في نشوب صراعات و خلافات بسبب التباغض الذّي يحصل من جرّاء تعدّد الزّوجات و منشؤه غيرة طبيعية[2] ، و هذا ما تؤكّده أمثال شعبية من أشهرها :

" الشْريكة هليكة "[3] .

فالشريكة هي الضُرَّة و هليكة أي مصيبة و مضمون هذا المثل هو نشوب الخلاف المستمر بينهنّ. و وجود الشّريكة يخلُّ بكرامة الزّوجة السّابقة إذْ هي تَشْعُر أنّ غيرها يُشاركها قلب زوجها، و حُبَّه و حنانه في حين تريد من الزّوج أن يكون لها وحدها.

كما وُجدت أساليب الكيد، و التفضيل بين أولاد الضّرائر في (الرّبيب) حُجَّة أو دليل على وجود زوجة أخرى – و لو كانت مطلّقة – تشاركها في زوجها و هذا ما يجعلها تُكنُّ له الكراهية و الحقد. و الدّليل على ذلك ما أتت به الأمثال الشعبية :

---

1 عبد العزيز سعد : الزّواج و الطّلاق في قانون الأسرة الجزائرية – ط 1 – للطباعة و النشر – قسنطينة – 1986 م – ص 123.

2 قاسم أمين : تحرير المرأة – ص 140.

3 مثل متداول في منطقة تلمسان.

" الرّبِيبْ عـلّـة "[1]

" لوْ كان النعجة تَسْرَحْ مْـعَ الدّيبْ حتّى مرْت البُـو تبغي الرّبيب "[2] .

نستنتج من هذا المثل أنّه لا يوجد تعايش بين (الربيب) و زوجة الأب، كما هو يستحيل تعايش النّعجة مع الذّيب.

ترفض المرأة أيّة مشاركة في زوجها حتّى و لو كانت هذه المشاركة لأولاده من زوجة أخرى.

إذًا يبقى في هذا الإطار قيام أسرة على صراع بين الرّبيب و زوجة الأب، و يُشكّل هذا الصّراع نوعا آخر من الانزعاج الموجود داخل العائلة و نشوب الخلافات باستمرار.

نستخلص من هذا كلّه أنّ تعدّد الزّوجات يؤدّي إلى كثرة الصّراعات بين الرّجل و زوجاته، ممّا يُفسِد تربية الأولاد و يُسيء أخلاقهم[3] .

كما أنّ تعدّد الزّوجات يؤدّي إلى كثرة النّسل و كثرة النّسل تؤدّي في كثير من الأحوال إلى الفقرو سوء التربية، و مهما كانت قدرة

---

1 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 158.

2 مثل متداول في منطقة تلمسان.

3 للتوسّع أنظر مثلا : Fatima Mernissi - P. 32/38.

الزّوج فإنّه لا يستطيع أن يعدِل بين زوجاته[1] ، كما أنّه لا يقدر على توفير احتياجاتهم المعيشية فضلا عن تربيتهم تربية حسنة[2] .

رابعا : الإنجاب :

يُعدُّ الإنجاب شرطا رئيسيا لإستمرار الزّواج، لذلك نقلت لنا الذّاكرة الشعبية أمثالا شتّى في هذا الموضوع، منها على سبيل الذّكر لا الحصر :

1- " اللّي وْلدْ ما ماتْ "[3] .

2- " شَفْت الخِيلْ بْغيتْ الرْكوب، شَفْتْ النْسا بْغيتْ النْجوبْ "[4] .

3- " المْرا بلاَ وْلادْ كالمْظلّة بْلاَ عْمَادْ "[5] .

---

1 " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النّساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة وإن تُصلِحوا و تتّقوا فإنّ الله كان غفورا رحيما " – سورة النّساء : 129.

2 عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الاسلام – الجزء الأول – دار الشّهاب – باتنة – ص 41.

3 قادة بوتارن : الأمثال الشعبية الجزائرية – ص 160.

4 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

5 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

تدور هذه الأمثال حول محور واحد هو الإنجاب، و الزّواج هو الوسيلة الشرعيّة لإنجاب الأطفال، و تكثير النّسل و استمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب، و على العكس من هذا فإنّ ظاهرة العقم تكون في هذه المنطقة عاملا من عوامل فشل استمرار العلاقة الزّوجية[1] . بل إنّ المرأة العاقر تعاني داخل هذا الوسط احتقارا، إلى درجة أنّها بعد طلاقها لا يمكنها الزّواج إلاّ بشيخٍ طاعنٍ.

و نخلص من هذه الأمثال إلى أنّ بعض العائلات في منطقة تلمسان تحرص على الإنجابّ بكثرة و على الخصوص العائلة الرّيفية التي تُفضّل الذّكر على الأنثى انطلاقا من أنّ صلاحية المجال الفلاحي (خدمة الأرض + الرّعي) تفوق صلاحية الأنثى التي بمجرّد ما تبلغ سنّ الرّشد، تُسارِعُ أسرتها إلى تزويجها. و طبقا لهذا العرف كان الولدُ أرفع مكانا وأحقُّ بالاهتمام من الأنثى، فهو كما يقول المثل: " الولدُ اَعْمارة "[2] .

و مصطلح (اَعمارة) مقصود به استمرارية العائلة، سواء كانت هذه الاستمارية من جانب الاسم أو من جانب الإرث. فالمثل الشّعبي القائل :

" المْرا بْلا وْلادْ كالخيْمة بْلاَ وْتادْ ".

---

1 محمد عاطف غيث : المشاكل الاجتماعية و السّلوك الانحرافي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 1987 – ص 162.

2 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

تُعتبر عمليّة الانجاب ضمانا اجتماعيا لإستمرارية الحياة الزّوجية لأنّ " الطّفل يشكّل بالنسبة للأمّ استثمارا سيكولوجيا كبيرا على اعتبار أنّه يُدعّم مكانتها داخل الأسرة و يُحقّق لها اعتبارا اجتماعيا يجعل منها تلك الأمّ الولود التي تُساهم في استمرارية المجتمع، و استمرارية النّسب، فبالاضافة إلى هذا فالأمّ تُحقّق ذاتها عبر الطّفل الذّكر بحيث تضمن لنفسها حليفا يُدعّمها و يؤازرها "[1] .

كما قد يرجع التدرّج في الرّتب بين الذّكر و الأنثى إلى أنّ الإبن يحلّ محلّ الوالد بعد الشيخوخة أو أثناء المرض، و الحياة في الرّيف تتطلّب الجهد العضلي الذّي هو سمة من سمات الرّجل[2]

كما يرجع التفضيل أيضا إلى المحافظة على الإرث، فالملكية تنتقل من الجدّ إلى الأب إلى الإبن فالذّكر أحقّ بها من الأنثى[3] .

أمّا الأسرة التي تقطن بالمدينة تدعو للإنجاب بكثرة كما أنّها ترضى بما هو موجود و لعلّ من أشهر الأمثال التي تؤمن بها قولهم :

---

1 كمراوي فاطمة : وضع الطّفل المغربي و أسلوب معاملته داخل الأسرة من خلال الأمثال الشعبية – ص 72.

2 محمد عاطف غيث : دراسات في المجتمع القروي – ص 142.

3 و هذا طبقا للأية الكريمة (يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين فإن كنّ نساءًا فوق اثنتين فلهنّ ثُلثَا ما ترك و إن كانت واحدة فلها النّصف ...)، النّساء : 11.

" اللّي خلّى لَبْناتْ مَا مَاتْ "[1] .

" المْعيزْ خيرْ من الـفْقَرْ و البَنْتْ خيرْ من العْقَرْ "[2] .

فمن خلال قرائتنا للمثل الأوّل يتبيّن لنا أنّ هذا النّوع من الأسر يُفضّلُ الأنثى على الذّكر، لأنّها عَلَمَا نظنُّ أكثر حنانًا، فالبنت تحتفظ بذكرى أبيها مدّة طويلة جدًّا، و لو بدموعها التي تذرفها من أجله. فطبيعة الفتاة تجعلها تعبّر عن مشاعرها بصورة لا يستطيع الذّكر استعمالها للتعبير عن مشاعره، و لهذا نجدها تشكّل ملجأ دافئا للأبوين عند كبر سنّها أو مرض أحدهما. و يُقال هذا المثل بطريقة أخرى :

" اللّي ما عندُ لبْناتْ ما عَرْفُوه فايَنْ ماتْ "[3] .

و مضمون هذا المثل أنّ صياح الفتاة و صراخها عند موت أبيها دليل على وجود جنازة في بيت معيّن.

أمّا مضمون المثل الثاني فهو أنّ الانسان يجب أن يقنع بما أعطاه الله، فالمَعِز أحسن من الفقر، و إنجاب البنات أحسن من العُقْرِ، و ذلك طبقا للشريعة الاسلامية[4] .

---

1 قادة بوتارن : المرجع السابق – ص 164.

2 أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتربولوجيا النفسية – ص 369.

3 مثل متداول في منطقة تلمسان.

4 (يهَبُ لمن يشاء إناثا و يهبُ لمن يشاء الذّكور أو يزوّجهم ذكرانا و إناثا و يجعل من يشاء عقيما إنّه عليم قدير) ، الشورى: 49– 50.

و من هنا نرى أنّ هذه الأسرة راضية بما هو مكتوب لها ما دام أنّ اللّه هو الذّي رزقها إيّاها.

كما قد يرجع السّبب إلى أنّها قد تعاني من ضيق السّكن و غلاء المعيشة، ممّا يجعل إنجاب البنات في مثل هذه الحالة يُصبح أقلّ تكلفة، إذ البنت لا تحتاج إلى بحث عن السّكن، كما هو حال الولد، و مشكلة السّكن في المدن معروفة. كما لا تتطلّب البنت من عائلتها إلاّ الجهاز و هو قابل للتحقيق، لكن الولد يتطلّب – زيادة على المهر – تحضير سكن خاص و هذا ما صار أزمة خانقة، كثيرا ما تسبّبت في ابتعاد الذّكور عن الزّواج[1] .

و نخلُصُ من هذا كلّه إلى أنّ هناك قطبين متعارضين، الأوّل هو الأسرة الرّيفية الزراعية التي تُعبّر عن فعّالية و استمرارية القيم التقليدية لمجتمعنا و مجتمعات عديدة تاريخيا.

أمّا القطب الثاني، فهو الأسرة التي تعيش في المُدنِ و التي تعرّضت لتأثيرات الغزو الثقافي الأجنبي[2] المتمثّل خاصة في الحريّة النسبية لأفراد العائلة (حريّة اختيار شريكة الحياة – السّكن المنفرد ...).

---

1 لمعرفة مشكلة السّكن على العائلة، أنظر مثلا : مصطفى بوتفنوشت – المرجع السابق – ص 219/217.

2 تجدر الاشارة هنا إلى أنّ الغرب نفسه قد مرّ بهذه الظاهرة (تفضيل الخلف على العقر) و هذا ما أشار إليه الكاتب الفرنسي لابرويير Labruyère في كتابه Les Caractères – Ed. Garner *- Flammarion - Paris - 1965 – ص 160/158.

خامسا : التنشئة الاجتماعية

يكون الغرض الأساسي لأيّ مجتمع إنتاج الأفراد القادرين على التمسّك بقوانينه و أخلاقه و قواعده، و ذلك من أجل البقاء و الاستمرارية، يكتسب بموجبها الفرد مبادىء و أدوات و مناهج في إطار حقوق و واجبات لتحقيق سلامة هذا المجتمع. ذلك أنّ المجتمع هو الذّي يُكوّن الفرد و يُكيّفُه على صورته و ليس الفرد هو الذي يكوّن المجتمع و يصنعه حَسْب رغباته و أهوائه[1] .

و معنى هذا أنّ العائلة هي التي تكوّن شخصية الفرد، و خاصة الأمّ، التي تُعدُّ النّواة المحورية للأسرة و هذا ما جعل أكثر الأمثال الشعبية، في منطقة تلمسان تَدُور حول دور الأمّ في تربية بناتها خاصة و أبنائها عامّة.

و لعلّ من أشهر الأمثال التي تصبُّ في هذا الاتّجاه قولهم :

1- " المْرَا الصَّالحة تْجيبْ الذُريّة الفالحة "[2] .

2- " قلَبْ القدْرة على فُمْها تَشْبهْ البَنْتْ أُمّها "[3]

---

1 أحمد أوزي : الطّفل و المجتمع، دراسة نفسية و اجتماعية لصورة الطّفل المغربي من خلال الرّواية – مطبعة النّجاح الجديدة – الدّار البيضاء – ط 1 – 1988 – ص 12.

2 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

3 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

3- " اللّي ما ربّاتو يمّاه ما يْربِّيوَهْ النّاس "[1] .

فالمرأة لا يكتمل دورها الاجتماعي إلاّ إذا أنجبت، و يتبع هذا الانجاب حسن التّربية لأنّها المسؤولة عن هذه المهمّة.

و ما نستخلصه أيضا هو أنّ صفات المرأة و سلوكها تنعكس على شخصية الطّفل، فإذا صلحت صلح معها، و إذا ساءت ساء معها.

كما نلمس في المثل الثاني مقابلة بين القدرة و المرأة، و قد تكون لهذه المقابلة عدّة تأويلات منها :

- إذا أُهملت تربية الفتاة، فلابدّ أنّها ستجلب العار و هذا ما يُشبه - إلى حدٍّ ما - إهمال القدر دون غسيل، ممّا يجعل السّواد يُغطّيها.

- كذلك هناك ترابط لغوي (الجناس) و يتمثّل في القدرة و القذارة، فالأولى هي وعاء تجعل فيه الماء أو الحساء و الثانية هي صفة بمعنى الوسخ، و قد تُصبح القدرة قذارة إذا لم نُحسن غسلها.

- و ما يُلاحظ أيضا أنّ التشابه بين المرأة و القِدرة جاء انطلاقا من أنّ غسل الأواني هو من اختصاص الأمّ عادة وعليه فكلّ ما تعلّق بنظافة أو وساخة الأواني المنزلية يبقى مرتبطا بالمرأة.

- و ما يستخلص من هذه الأمثال ثلاثتها، أنّ القدوة تلعب دورا كبيرا و مهمًّا في تنمية شخصية البنت و في تربية سلوكها وفق التوقّعات

---

1 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

السّائدة لدى أفراد المجتمع عامة و الأمّ خاصة[1]، فهي ولوعة بتقليد أمّها و الاقتداء بها و محاكاتها في كلّ حركاتها.

- و عليه فإنّ بذرة القيم التربوية السّائدة في عائلة ما، هي مجموع التقاليد و العادات التي نقلتها العائلة عن طريق التنشئة من جيل إلى جيل.

بمعنى أنّ التنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا، أي في الجيل الواحد، و طولاً، أي بتتابع الأجيال ...[2]

نصل من هذا كلّه إلى أنّ مكانة الأمّ في تربية بنتها هي مكانة أساسية في حين يبقى دور الأب هامشيا و قد يكون دوره أساسيا في تربية الولد، ممّا يعني أنّ العائلة في هذه المنطقة تُقسّم مهمّة تربية الأطفال تقسيما يتماشى مع ما يُعرفُ : بالعائلة الأبويّة و العائلة الأمويّة.

و ما يُبيّن أنّ للأب دور في تربية الولد ما جاء في المثل الشعبي التالي : " اللّي نَعْرفْ أَبَّاه ما يْخَوَّفْني ولْدُ "[3]

و مضمون هذا المثل هو أنّ الأب هو الذي ينوط بتربية الولد، و قد ينشأ - عادة - على أخلاق أبيه، فتحدث عملية التأثير و يُصبح الولد صورة مطابقة لوالده في سلوكه و أعماله.

---

1 للتوسّع أنظر : قاسم أمين - تحرير المرأة - ص 44/41.

2 تركي رابح : مجلّة الثقافة - الجزائر - 1980 - 1956 - ص 80.

3 مثل يردّد في منطقة تلمسان.

للقبيلة أحكام و قواعد يفرضها العرف لتربية النشىء لأنّ " التنشئة الاجتماعية عملية لا تقتصر فقط على تكييف الفرد مع المعايير الاجتماعية، بل هي من جهة عملية مواصلة لتغيير به مدى الحياة بهدف الإدماج الاجتماعي النسبي و المستمر للفرد، و من جهة أخرى وسيلة لتسريب المعايير و القيم و التمثّلات الاجتماعية. إنّها تكييف نسبي للفرد في سياق إطار حياته الفردية و الجماعية[1] .

إذا فمتابعة سلوك الطفل يجب أن تكون يومية، و ذلك بغرس القيم المرغوب فيها و الحدّ مّن القيم غير المرغوب فيها. و التوجيه يكون بالتخويف و الترهيب و ليس بالعقاب المضرّ انطلاقا من الأمثال التالية (:" الضّرب ما يربّي "، " اللّي مْربّي منْ عَنْد رَبّي "، " هَيَّبْ لا تْعَيَّبْ ")[2]

و مضمون هذه الأمثال يكمن في حسن اختيار طرق التربية، فليس العقاب وسيلة لتصحيح سلوك الطفل، فبالممارسة و التكرار تصبح عنده عادة، أو قد يعيِّبه و يُعقِّده، فشخصية الطفل تنمو بالتدريج و تترعرع استعدادت الأنا الأعلى لديه بمرور الزمن و يكون وفق المعايير الثقافية السائدة في مجتمعه.

---

1 هشام شرابي : مقدّمات لدراسة المجتمع البشري – الأهلية للنشر و التوزيع –بيروت – ط 3 – 1980 – ص 75.

2 أمثال متردّدة في منطقة تلمسان.

" فالذات تتكوّن نتيجة استجابات الطفل لتوقعات من حوله، و من إدراكه لتوقعات غيره، و هو يكوّن توقّعاته من الغير، و يُدركُ توقّعات الغير من خِبراته الماضية معهم و تصرّفهم حيال سلوكه في المواقف المختلفة، و هو لا يستطيع أن يتصرّف بشكل يتوافق مع اتجاهات الغير و قيمهم، إلاّ إذا تبنّى تلك الاتجاهات و القيم كخطوة أولى في تكوين الذات المتكاملة التي تعمل بدرجة من الاستقلال النسبي عن الكبار المحيطين به "[1].

لقد سبق أن توصّلنا في الفصل الأول إلى أنّ دور الأولياء في تحضير عملية الزّواج هو دور أساسي في هذه المنطقة، إذ لا يتمّ الزّواج عادة إلاّ إذا رضي الأبوان خاصة و الأهل عامة على زوجة المستقبل.

أمّا في هذا الفصل الذي يبدأ من حيث انتهى الفصل السابق فإنّ الزّواج قد يكون داخليا كما قد يكون خارجيا.

و يبقى دور الأولياء – على هامشيته – إيجابيا فلهم دور أساسي في تربية الأحفاد، كما أنّ ارتباطهم المباشر بالعروسين يُساهم في تعزيز ظاهرة الاقبال على الانجاب، ممّا يعني أنّ العروس العاقر سوف لا تجد أي ترحيب داخل العائلة، إذْ سرعان ما تظهر بوادر مطالبة العريس بالزّواج بثانية قصدَ الانجاب.

---

1 لطفي بركات أحمد : دراسات تربوية نفسية في الوطن العربي–دار الرياض–السعودية–1981– ص 82.

و لا يُستثنى من هذه الظاهرة عادة إلاّ المتزوّجون من ذوي القُربى، حيث تتدخّل عوامل القرابة و الإرث في تحجيم عنصر الطّموح إلى تعدّد الزّوجات، في حين يبقى الزّواج الخارجي مُعرّضا أكثر لظاهرة التعدّد و ذلك لعدم وجود الموانع الاجتماعية التي تعترض عملية تعدّد الزّوجات.

الفصل الثالث

صورة المرأة في المثل الشعبي

أوّلا : المرأة و الغريزة

ثانيا : المرأة غير الصّالحة

ثالثا : كيد المرأة.

رابعا : المرأة و الغيرة.

خامسا : العشرة الزوجية.

سادسا : المرأة الزوجة و المجتمع.

ممّا لاشكّ فيه أنّ المرأة كانت و لازالت موضوع إلهام الفنّانين، فهي كائن ضعيف، إذْ هي غالبا ما تميلُ إلى عواطفها و شعورها، و نادرًا ما تتصرّف بعقلها و منطقها[1]، و هذا ما قد يدفعها إلى ارتكاب مآثم، و ممارسة علاقات غير شرعية.

و ما يؤكّد هذا الرّأي أنّ الذّاكرة الشعبية ازدهرت بالكثير من الأقوال التي تَدور في فلك هذا المُوضوع و لعلّ من أشهرها :

1- " شَمسْ لَغْيامْ يَخَرَّجْ النْسا منْ الخْيامْ "[2] .

2- " إلا مدّيتْ كراعي نْجيبْ راعِ "[3] .

3- " خلاَّتْ رَجلْها مَمْدودْ و مْشَاتْ تْطلْ على مَحْمُودْ "[4] .

تدلّ هذه الأمثال على نوعيّة خاصّة للعلاقة بين المرأة و الرّجل، و تشيرُ إلى ظاهرة اجتماعية عرفتها المجتمعات القديمة، و لازالت تعرفها بعض المجتمعات الحديثة، و خاصة مجتمعنا ألا و هي ظاهرة البَغاء و الخيانة الزّوجية[5] .

---

1 للتوسّع أنظر : قاسم أمين : تحرير المرأة – ص 55.

2 مثل متردّد في منطقة تلمسان .

3 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 149.

4 المرجع نفسه – ص 154.

5 أنظر على سبيل المثال : محمد عاطف غيث : تطبيقات في علم الاجتماع القروي – ص 329.

إنّ المثل الأوّل يؤكّد أنّ المبالغة في حِرص الرّجل على إبعاد زوجته عن النّاس، لا يكون حلاً ناجعًا لمنعها عن الوصول إلى مبتغاها إذا لم تكن الزّوجة نفسها قادرة على التحكّم في غريزتها[1]. و لهذا فإذا كانت السّحابة أو الغيمة غير قادرة على حجْبِ أشعّة الشمسِ فكذلك لا تستطيع الخيمة أو البيت حجبَ نظرات المرأة إلى خارجها، بمعنى أنّ المرأة التي لا يربُطها شرفها أو عزّتها، فلا شيء آخر يستطيع أن يمسكها عن تصرُّفاتها مهما كان نوعه.

كما أنّ المثل قد يوحّي بدلالة أخرى و هي أنّ الرّجل الذي يُكثرُ من محاولة إبعاد زوجته عن الاختلاط، يتسبّب بطريق غير مباشر في تشجيعها على مخالفته، و ذلك ما يُفْهَمُ من أنّ (الشمس المخبّأة وراء السّحابة) تتخلّل أشعّتها بالضرورة لتصل إلى الأرض، و كذلك فإنّ المرأة التي يُحاول زوجُها أن يسجِنها داخل البيت سيدفعها هذا الإجحاف إلى التمرّد و من ثمّ إلى البغاء كردِّ فِعلٍ لِقسوةِ الرّجل و حرصه الشّديد.

و يُفهم من هذا أنّ لهذا المثل دلالتين :

الأولى : أنّ الغريزة الجنسية عند المرأة تُضاهي قوّة بزوغ الشّمس، التي لا تستطيع السّحابة حجبها عن النّاس. ممّا يعني أنّ كلّ جهود الزّوج لإبعاد زوجته عن الخيانة تَبُوء بالفشل إذا أرادت، أوْ على الأصح إذا شعرت بنوع من الإجحاف في حقّها.

---

1 عمر رضا كحّالة : سلسلة بحوث اجتماعية : الزّواج – ص 236.

الثانية : أنّ الرّجل قد يساهم بطريقة غير مباشرة في ارتكاب زوجته لخطيئة الزّنا، و ذلك نتيجة حرصه الشّديد على حجبها عن النّاس، إذْ سيتحوّل هذا الحرص – حسب المثل – إلى نوع من ردّ الفعل العكسي عند الزّوجة، فتحاول أن تُكسّر رغبة زوجها بالتمرُّد عليه، و من ثمّ إلى التحرّر.

و نخرجُ من هذا المثل إلى نتيجة تتمثّل في أنّ لا جدوى من كلّ محاولات الرّجل إبعاد المرأة عن الوقوع في الزّنا إذا لم تكن المرأة نفسها راغبة في ذلك. إذْ كما لا يُعقلُ أنْ تَحجُبَ الخيمة ضوء الشّمس، فكذلك لا يُعقل أن تحجُبَ الخيمة جمال المرأة.

و لعلّ ما يؤكّد تحدّي المرأة للرّجل ما جاء في المثل الثاني " إلاّ مدّيت كْراعي نْجيب راعي "، فدلالة هذا المثل تشيرُ بوضوح إلى أنّ أيّة محاولة من الرّجل إلى كَبْتِ جماح المرأة عن إرضاء غريزتها[1] تبوء بالفشل، و ذلك انطلاقا من أنّها قادرة في أيّة لحظة استقطاب أو استجلاب المتعة من رجل غيره. بل قدْ يَبلغ التّحدّي إلى أن تقوم بما يقوم به الصيّاد الذي يرمي بالسّنارة) في البحر دون أن يهمّه نوعية الصّيد، أيكون سمكة أو خَيْشَةَ، فهي إذا انتابها هاجس تحدّي زوجها فلا يهمُّها أن يكون البديل (راعيا) حقيرًا.

---

1 لمعرفة قِوى الغريزة الجنسية، أنظر مثلا : سيموند فرويد : معالم التّحليل النفسي – ديوان المطبوعات الجامعية – ترجمة محمد عثمان نجاتي – الجزائر – 1986 – ص 54/49.

– و حافظ (أوطو كلنبرغ Otto Qualenberg) : علم النفس الاجتماعي – ترجمة حافظ الجمالي – مكتبة الحياة – بيروت – 1967 – ص 98/93.

هذا ما قد ينطبق على المرأة المتزوّجة، كما أنّ هذا المثل قد ينطبق على المرأة العانس التي تُردِّدُ هذا المثل لإبعاد الشُّبهات عنها، فهي – في تحدِّيها لتساؤلات النّساء عن سبب عناستها – تواجههنّ بأنّها ليست معنيّة بكلّ منْ هبّ و دبّ منَ الخُطّاب، إذْ لو كان هذا مبتغاها لاكتفت بالموافقة على أوّلِ طارق يتقدّمُ لطلب يدِها.

نصل من قراءة هذين المثلين إلى أنّ العلاقة الزوجية بين الرّجل و المرأة علاقة جدلية، فكلّما حاول طرف منهما أن ينفرد بالسّلطة كلّما راح الطّرف الثّاني إلى تبنِّي موقفًا مناقضًا من الطّرف الأوّل. فمحاولة الرّجل التمسّك (في المثل الأوّل) بزمام الأمور دفع المرأة إلى استشفاف الخارج من وراء حجاب (الخيمة) فضلا عن أنّها قادرة – لأسباب غريزية – على أنْ تَحصُلَ على مبتغاها في أيّة لحظة شاءت و ذلك طبقًا لمقولة المثل الثاني.

ممّا قد يُفهمُ أنّ مكانة الغريزة الجنسية تبقى متميِّزة في العلاقة بين الرّجل و المرأة. فعليها يقوم ميزان بناء الأسرة، و في ضوئها يكون نجاح أو اختلال هذا التّوازن، و إذا كان المثلان السّابقان ينظران إلى تصرّف المرأة بوصفها ضحيّة غِيرة الرّجل عليها، و حرصه الشّديد على الإنفراد بها دُون غيره من الذّكور، شأنه في ذلك شأن سائر المخلوقات الحيوانية، إذْ من الواضح أنّ الغريزة الجنسية تدفع بالحيوان الذّكر إلى إبعاد جميع الذّكور عن إناثه، فإنّ المثل الثالث " خلاّت رجلها ممدود و مشات تْطلْ على محمود "يَقلِبُ المعادلة، إذْ

تَصبْحُ المرأة فيه جانية بعدما كانت ضحيّة، فهي التي تتخلّى عن الرّجل لتذهب إلى غيره طالبة المتعة[1] .

على أنّ هذا المثل لا يجعل من المرأة بطلة في ميدان التّحدّي بقدر ما يجعلها (حسب المثل نفسه) تستغلّ ضعف الذّكر لتتمرّد عليه، فهي لم تتحرّك في أوقات قوّته و إنّما تحرّكت لمّا ألمَّ به السُّقْمُ أو المرض.

فهل يعني هذا أنّ المرأة تُؤتَمنُ ؟ فهي في أثناء سلطة الرّجل تلجأ إلى التمرُّد الخفيّ، و هيّ في أثناء ضعف الرّجل تذهب علنًا إلى غيرِه.

إنّ هذه الأمثال ثلاثتها تُصوِّرُ المرأة في طبيعتها الشّيطانية و تقلع عنها ثوب التّقوى، و لعلّ إلى هذا أشارت الآية الكريمة :" قال ربِّ السّجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه و إلاّ تصرف عنّي كيدهنّ أصْبُ إليهنّ و أكن من الجاهلين "[2] .

كما يبدو أنّ هذا ما شخّصه الشاعر الشّعبي عبد الرحمان مجدوب بقوله[3] :

---

1 للتوسّع أنظر : قاسم أمين : تحرير المرأة – ص 55.

2 سورة يوسف – الآية 33.

3 Comte Henry de Castries : Les Gromes Sidi Abderrahmane El Mejdoub

ERAEST LE ROUX Editeur - Paris 1896 - P. 4,19,5.

اَحْـنَ النْسـا عرْشْ تَفَّـاحْ مـنْ شَـدْنَا نْجِيوا في يـدُّه

إذا غَابُـوا عْلِـينـا اثـنين مـــا زال الـثـالث نْـزيـده

بْعَيْني شَفْتْ لَـفْقيرَة تْصَلِّي وْ سَبَّحَتْها فـوق لَحْصيره

هـي تَخـدَعْ فَـرَجـلْـهـــا وْ هُـوَ يقُول مْراتِ فْقِيره

و نخرج من كلّ ما سبق إلى أنّ صورة المرأة في المثل الشّعبي قد أخذت أبعادا كثيرة تتلاقى في معضمها حول الطّابع الشّيطاني ممّا يُوحي لنا بأنّ المرأة غريبة الأطوار، فهي في ضوء الذّاكرة الشعبية قد تتحوّل بسهولة من ملكٍ إلى شيطان في لحظة، كما أنّنا تستشفُّ من الأمثال السّابقة مكانة المرأة في المخيِّلة الشّعبية، فهي في تصرُّفاتها تنتقل – تحت تأثير الغريزة الجنسية – انتقال النّحلة من زهرة إلى أخرى.

و يعني هذا كلّه أنّ هذه الأمثال – و غيرها ممّا جاء في سلوك المرأة – تنظر إلى المرأة لا بوصفها إنسانا مثلها مثل الرّجل، و إنّما هي تنظر إليها بوصفها أنثى، ممّا جعلها تبقى (في عين الرّجل) مصدر الموبقات و الفواحش، مع العلم أنّ المصدرية هنا لا يمكن أن تكون

فردية، إذْ لابدّ لتوفّر شرط الزّنا من تدخّل الرّجل الذي يُحاول أن يتنكّر عن الجناية تاركًا المرأة وحدها تتحمّل مسؤولية هذه التُّهمة[1].

ذلك ما يتعلّق بموضوع قوّة غريزة المرأة في الأمثال الشّعبية و صعوبة التّحكّم فيها، أمّا مكانة غريزة الرّجل في هذا النّوع من الأمثال الشعبية فيكاد يكون مهمولاً إذْ لم نعثر إلاّ على أمثال قليلة لا تمسّ هذا الموضوع إلاّ مسًّا بسيطا، و لعلّ مِنْ أقربها إلى هذا الموضوع المثل الذي يقول :

" تَبدالْ السّروجْ راحّـــة "[2] .

و كما هو واضح من دلالته المباشرة، فإنّ هذا المثل يُشيرُ إلى رغبة الرّجل في تغيير الزّوجات، و ما تشبيه المرأة بالسّرج إلاّ إشارة إلى أنّ المرأة في نظر الرّجل مجرّد مطيّة يركبها كما تركب الدّابة مدّة، ثمّ إذا شعر بالتّعب أو بالسّأم و الملل غَيَّر السّرج، قصدَ الرّاحة التي يطْلُبُها الرّجل من عملية تبديل النّساء و قد تكون في شكل تعدّد الزّوجات.

و هذا ما سبق شرحه في الفصل الثاني، كما قد تكون من باب البحث عن اشباع الرّغبة الجنسية عنده.

---

1 للتوسّع أنظر : مقدّمات لدراسة المجتمع العربي، سلوكنا الاجتماعي و بنية العائلة في المجتمع العربي – ط 2 – 1975 – الدار المتحدة للنشر – ص 39. و نور الدّين طولبي : في إشكالية المقدس – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص 106.

2 قادة بوتارن – الأمثال الشعبية – ص 153.

غير أنّ الذّاكرة الشعبية – و لأسباب تعود في أساسها إلى النّظام الذّكوري في المجتمع الجزائري – تُفسِّرُ هذا المثل لصالح الرّجل باعتباره حُرًّا في طلب المُتعة الجنسية من مصادر متعدِّدة، اتّقاءا للسّأم و طلبا للمتعة.

ثانيا : المرأة غير الصّالحة :

ذلك كان فيما يتعلّق بمشكلة الصّراع بين المرأة و الغريزة، و قد تجلّى من خلال متابعة الأمثال المستشهد بها في هذا الموضوع، أنّ قوّة الغريزة ليست قاصرة على المرأة دون الرّجل[1]، و إنّما العرف الشعبي تجاهل دور غريزة الجنس عند الرّجل، في حين وظّف كلّ وسائل التّشغيل في التّركيز على مكانة الغريزة الجنسية عند المرأة، ممّا قد يُفهم أنّ المرأة عبارة عن قوى غريزية متنقِّلة مثلها مثل الكرة المغناطيسية التي تجتذب إليها كلّ من حام حولها.

هذا الحكم جعل الذّاكرة الشعبية تضع ميزانا لغربلة النّساء، فمنهنّ (التي تتحكّم في غرائزها و منهنّ غير الصالحة و هي التي تنساق وراء غرائزها).

---

1 للتوسّع أكثر في هذا الموضوع أنظر :

Sigmund Freud : Introduction à la Psychanalyse-

traduit de l'Allemand par S. Jankélévitch - 1994 - P. 283/298.

كما أصبح هذا الحكم مع مرور الوقت شبه قاعدة يُرجع إليها قبل مشروع الزّواج، بحيث صار أوّل مطلب يُشترط توفّره في زوجة المستقبل هو العفّة لا بمعناها الخلُقي و إنّما بمعناها الجنسي، أي المرأة التي تستطيع حبسَ نفسها داخل بيت أبيها قبل الزّواج، فلا تسمح لأيٍّ كان أنْ يُبْصرَها أو أن تتكلّم معه لأنّ أي إجراء من هذه الاجراءات يُفسِّر على أنّه بداية التبرُّج و منْ ثمّ عدم صلاحية هذه المرأة للزّواج.

و نظرا إلى حساسية هذا الموضوع فإنّ الذّاكرة الشعبية قد احتفظت بأمثال شتّى تدور حوّل نوعية المرأة الصّالحة للزّواج، و من ثمّ معرفة خصائص المرأة غير الصّلحة للزّواج، يقول المثل :

" الحنّة فاظفارها و النّاسْ جابَتْ خْبَارْها "[1] .

لعلّ أوّل ما يصدِمُ قارىء هذا المثل هو كلمة "الحنّة" (الحنّاء) التي هي من الكلمات ذات الأبعاد المختلفة في الثرات الشعبي إذْ ارتبطت الحِنّاء منذ القِدم بالأفراح حتّى صار يُلقّب اليوم الأوّل من أيّام حفل الزّفاف (بيوم الحنّا) على أساس أنّ أهل العروس (يخضبون الحِنّاء للعروس و قريناتها) في هذا اليوم، و يُصاحب هذه العملية قيام قريبات العروس بالرقص و الغناء طيلة هذا اليوم، في انتظار قدوم أهل العريس في الغد[2] .

---

1 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

2 محمد عاطف غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي – ص 129.

كما أنّها استخدمت في إطار تجميل المرأة و العلاج من بعض الأمراض النفسية و العضوية.

و يُفهمُ من هذا أنّ للحِنَّاء رموزا كثيرة تتفرّع حسب لونها و وظيفتها في المجتمعات عموما و في المجتمع الجزائري خصوصا، فلوْنُ الحِنّاء يتميّز بنوع من الحمرة التي تجلب الأبصار إليها، كما تجلب المرأة التي تخترق حجاب بيت أبيها أو زوجها اهتمام المتطلّعين من الذّكور أو المتعطّشين منهم إلى الممارسات الجنسية.

فالمماثلة واحدة، وّ لهذا ارتبطت الحِنَّاء بالتبرّج عند المرأة في هذا المثل، و كأنّ الحِنَّاء ليست مُجرّد زينة، و إنّما هي إشارة مباشرة إلى التقاء جمال الحِنَّاء بتبرُّج المرأة بل إنّ الرّبط بين الحِنَّاء و الأخبار السيِّئة عن المرأة يعني أنّ بزوغ الحِنَّاء و ظهورها على الأظافر كبزوغ الإشاعات حول تبرُّج المرأة.

كما قد يُفهم من هذا المثل أنّ المرأة المتبرِّجة لا يُمكنها أن تتأخّر لحظة عن ممارسة عاداتها حتّى بعد زواجها، إذْ يؤكِّد المثل لنا أنّ الحِنَّاء التي تتجمّل بها عادة العروس ليلة زفافها ما زالت مرتسمة على أظافرها في حين وصلت الإشاعات عن تبرُّجها، و لعلّ هذا الصِّنف من النِّساء هو ما شبَّهه عبد الرحمان مجدوب أيضا بالحِنَّاء بقوله :

حُبّ النْساء كالحِنَّا في الحينْ يَفسخْ لْبَاسُه[1]

---

1 للتوسّع أنظر : ميلود بلبشير : الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان مجدوب – رسالة ماجستير – مكتبة معهد الثقافة الشعبية – ص 95/94.

و هذا ما قد يؤكّدهُ مثل آخر يُشخّص أعراض المرأة المتحرّرة، أي التي تَسْمحْ بنفسها بالظّهور أمام الآخرين إذْ يقول المثل :

" بَنْتْ الزّنْقة ما دّيرْ الدّار "[1]

يدلّ هذا المثل على نوعية خاصة من البنات اللّواتي تَجُلْنَ في الشوارع و الأسواق أو بالمعنى الأصحّ بنات العائلات المتفتّحة اللّواتي تتمتّعن بالحرية في أفعالهنّ و سلوكهنّ.

(فالزّنقة) : تدلّ على تسكّع المرأة في الشّوارع، أي عدم استقامتها في نظر حكمة المثل.

(الدّار) تدلّ على التزام المرأة و امتثالها لأوامر العائلة.

و معنى هذا أنّ بنت (الزّنقة) غير صالحة للزّواج لأنّها تحمل صفات و سلوك تمنعها من تحقيق معناها الاجتماعي خصوصا عند العائلات المحافظة.

ذلك هو المفهوم المباشر لهذا المثل و هو كما يظهر للعيان يتماشى مع عقلية المجتمع الرّيفي الذي يُقسّم الوظيفة الاجتماعية بين الجنسين تقسيما يُساير طبيعته : فمكانة المرأة هي الدّار بكلّ ما فيها من مسؤولية منزلية و عائلية[2] . أمّا مكانة الرّجل فتقع خارج الدّار :

---

1 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

2 أنظر : عباس محمود العقاد : بين الكتب و النّاس – دار الفكر – القاهرة – 1979 – ص 39.

خدمة الأرض و ضمان قوت العائلة، و بناءا على هذا العرف الرّيفي، فإنّ أي خرق لقاعدة التخصّص يُعدُّ خرقًا للعرف الاجتماعي.

بمعنى أنّ المرأة التي لا تحترم هذا العرف (المكوث في البيت) تصبح مقصاة من دائرة المجتمع، و تُنسب إليها كلّ التُّهم التي تلتقي حول فقدان الشّرف، و عيله فإنّ الرّجل سيتجنّب هذا النّوع من النّساء عند الإقبال على الزّواج.

و نخلص من المثلين السّابقين إلى تحديد شبه نظريّة عُرفية للزّواج النّاجح في المجتمع الجزائري، و تعتمد هذه النظرية على ركنين أساسيين :

1- ضرورة توفّر شرط تستّر المرأة[1] .

2- ضرورة توفّر شرط البقاء في البيت قبل الزّواج و في أثنائه.

فهذان الشّرطان يلتقيان في نقطة واحدة تتمثّل في القيد العرفي المفروض على المرأة، سواء كان هذا القيد مكانيا كالبيت مثلا، أو كان رمزيا كالحِشمة و الحياء، بمعنى أنّ شرط نجاح زواج الرّجل بالمرأة الصّالحة يقوم على اختيار المرأة التي تحترم هذين الشّرطين[2] ، فلا تتعدّاهما إلى محاولة إظهار زينتها للآخرين.

---

1 للتوسّع أنظر : مصطفى بوتفنوشت – العائلة الجزائرية – ص 79.

2 للتوسّع أنظر : محمد إبراهيم شقرة : المجتمع الرباني – المكتبة الاسلامية – عمّان – الأردن – ط 2 – 1991 – ص 65/63.

غير أنّ هذين الشرطين يجعلان المرأة مُجرّد دُمية يَلْهُو بها الرّجل كما يلهو الطّفل بلعبته[1] ، و هذا يعني أنّ المرأة – طبقا لهذين المثلين – ما زالت تُعاني من ضغط و سيطرة العرف التقليدي السّائد في المجتمع الجزائري، و ذلك على الرّغم من أنّ حِدّة هذا التقليد بدأت تخِفُّ عند الأجيال المعاصرة لتعميم التّعليم بين الجنسين.

ثالثا: كيد المرأة

تزخر الذّاكرة الشعبية بالعديد من الأحكام و القواعد التي تَعْتبر المرأة مصدرًا للمكر، و الحيلة و الخداع، و الأفعال السيِّئة، و ارتكاب المعاصي و غيرها[2] .

و قد تمثّلت هذه الأخيرة في أمثال شعبية جاءت لتنبِّه الرّجل حتّى يكون شديد الحذر و اليقظة في التّعامل معها. و لعلّ من أشهر أقوالهم :

" ظاهر المِرَا جَنَّة و باطنْهَا جهنَّمْ "[3] .

---

1 للتوسّع أكثر أنظر : أنظر قاسم أمين – تحرير المرأة – ص 60.

2 ارتباط المرأة بالشيطان يعود إلى الأسطورة القديمة التي نسبت إلى حوّاء سبب خروج آدم من الجنّة، و هذا ما أشار إليه سفر التكوين (التّوراة). و هو ما يُستخلص أيضا من المثل الأوّل الذي شبّه طبيعة المرأة بالجنّة و غضبها بالنّار.

و للتوسّع في هذا الموضوع أنظر مثلا : سعد جلال : علم النّفس الاجتماعي – منشأة المعارف – الاسكندرية – ط 2 – 1984 – ص 38/37.

3 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

" لَمْرَا نارْ إلاَ غفْلْتْ تحَرّقكْ "[1]

" كلّ مـرَا وْ مَجَّمْرة "[2]

" المْرَا لفعى "[3]

مضمون هذه الأمثال يتمثّل في وجوب تسلُّح الرّجل بالحذر و التّجنُّب من خبايا المرأة، فهي جميلة، دعوبة و ليّنة تستهوي الرّجل، لكن بداخلها حيل و مكر، و خصوصا إذا ما عزمتْ على انتقام و هذا ما يؤكّده المثل القائل :

" إلاَ حَلْفُ فيكْ الرّجال بات راقَدْ و إلاَ حَلْفْ فيك النْسَا بَاتْ قاعدْ "[4]

و قد أكّد هذا المثل أيضا الشيخ عبد الرحمن مجدوب في قوله عن كيد النّساء :

كَيْد النْسا كيْديْن و من كيْدهُمْ يَا حزوني
راكبة علَى ظْهَرْ السْبع و تْقول الحْدَ يَا كْلُوني [5]

---

1 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

2 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

3 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

4 مثل متردّد في منطقة تلمسان.

5 ديوان سيدي عبد الرحمان مجدوب – دار إحياء العلوم – الدار البيضاء – المغرب – د.ت – ص 7.

و معنى هذا أنّ المرأة تتحيّز للانتقام فلا تَجْهر به جهر الرّجل، ممّا يصعب على هذا الأخير أن يتجنّب مكرها، فهي – لضعفها – تلجأ إلى الحيلة أكثر ممّا تلجأ إلى المواجهة المباشرة في الانتقام[1] ، لذلك كان انتقامها شبيها – في المثل السابق – بلسعة الأفعى النّاعمة.

فقوّة المرأة حسب هذين المثلين تكون في طريق الخدعة التي تعتمد عليها عند شروعها في الدّفاع عن نفسها.

و من المعروف أنّ سلاح الخدعة لا يكون عادة سلاح القويّ المعتدّ به نفسه، و إنّما يكونّ سلاح الضّعيف، و نظرا إلى أنّ المرأة تشعر حسب هذين المثلين في مجتمعنا بالاضطهاد، فإنّها لا تجد وسيلة أخرى تُدافع بها عن نفسها سوى الخديعة و المكر أمام غطرسة الرّجل، و هذا التّصرف يكون – فيما يرى العقاد، :" إلى طبيعة في الأنوثة تلتزمها في كلّ مجتمع، و لا تفرضه عليها الآداب و الشّرائع، و لا يُفارقها باختيارها أو بغير اختيارها... فمن أصول هذا الرّياء في تكوين الأنثى أنّها مجبولة على التناقض بين شعورها بغريزة حبّ البقاء، و شعورها بغريزتها النّوعية... و أنّها مجبولة كذلك على التناقض بين شعورها بالشخصية الفردية و شعورها بالحُبّ و العلاقة الزوجية "[2].

---

1 نور الدّين طوالبي : إشكالية المقدّس – ص 107.

2 عبّاس محمود العقّاد : المجموعة الكاملة : الاسلاميات – المجلد الثامن – دار الكتاب اللّبناني – بيروت – ط 1 – 1975 – ص 24.

و للتوسّع أيضا أنظر : قاسم أمين : تحرير المرأة – ص 123/117.

و كما يبدو من هذه الأحكام التي جاءت بها هذه الأمثال ، فإنّها لا تخلو من المبالغة و الاستبداد بالرّأي و الغلوّ في إساءة الظّن بالمرأة و لكنّها تعكس نوعا من الاعتقادات الموجودة عند بعض أفراد المجتمع الجزائري عامة و التلمساني خاصة.

فالمرأة موضوع كلّ فنّ حتّى أنّ الشعراء و الفلاسفة اعْتنوا كثيرا بها و جعلوا منْها مثلا للّؤم و الغدر كأفلاطون و غيره. و لعلّ هذا ما أثار حفيظة أبو القاسم الشابّي الذي انبرى مُدافعا عن المرأة في قوله :-

" هاته الفكرة الجائرة، التي كانت تستحوذ على أدمغة العالم العربي كلّه، من أنّ المرأة مثل الغدر و اللّؤم، و خساسة الطّبع، و حطّة النفس، و خبث الضّمير، فإنّ الفكر الذي يعتقد مثل هذا في المرأة لا يمكنه بحال أن يُبصرَ ما وراء جسدها من حياة عذبة ساحرة و عالم شعري جميل "[1] .

إذا فالمرأة هي رمز الحياة و التطوّر و الحضارة و هذا ما أكّده نابليون بقوله : " إنّ اليد التي تهزّ المهد هي اليد التي تهزُّ العالم " قَصَدَ بذلك أنّ المرأة هي قاعدة المجتمع و ركيزته و ليس الرّجل"[2] .

---

1 ابو القاسم الشّابي : الخيال الشعري عند العرب – الدّار التونسية للنشر – د.ت. – ص 75.

2 هشام شرابي – المرجع السابق – ص 112.

رابعا : المرأة و الغيرة

من طبيعة المرأة أنّها تُحبّ أن تكون دائمة الشّباب و الجمال و الأناقة، و تخشى كلّ ما قد يُذهب عنها هذه المزايا كالكبر و المرض و الشّيب. و قد نقلت الذّاكرة الشعبية أقوال شتّى نذكر منها المثل الذي يقول :

" المْرَا تْخَافْ من الشّيب قَدْ ما تْخَافْ النّعجة من الذّيبْ "[1]

مضمون المثل هو أنّ اشتعال رأس المرأة شيبا دليل على اقتحام مرحلة من مراحل السّن، و هي مرحلة الشيخوخة. إذْ في هذه المرحلة من السّن تبدأ المرأة في الشّعور بنوع من العزلة المفروضة عليها من الآخرين[2] ، و هذا ما يجعل هاجس الخوف من الرّجل يزداد عند المرأة و خاصّة إذا شعرت بأنّ زوجها قد يُهملها و يبحث قريبا عن امرأة أصغر و أجمل منها، على أنّ هذه الظّاهرة ليست شاملة لكلّ هذا النّوع من النّساء، و إنّما هي تخصُّ المرأة الرّيفية التي ما زالت تُعاني من مشكلة تعدّد الزّوجات.

و قد تولّدت عن هذه الظّاهرة عقدة الغيرة عند المرأة التي انتابها الشّعور بالنقص أمام غيرها من النّساء اللّواتي صِرنَ في نظرها ضُرّات المستقبل، فممّا لاشكّ فيه أنّ عنصر الغيرة يكمن أساسا في

---

1 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 143.

2 للتوسّع أنظر : أوطو كلنبرغ : علم النفس الاجتماعي – ص 112.

فقدان المرأة لتوازنها داخل بيت الزّوجية نتيجة التغيّرات الفزيولوجية التي يتعرّض لها جسمها بفعل الشيخوخة[1] .

و نصل من هذا إلى أنّ عامل الزّمن عند المرأة يتعدّى ظاهرة الشيخوخة بمفهومها البيولوجي إلى ظاهرة الخوف من الشيخوخة بالمفهوم النفساني. فالعامل النفسي قد لَعِب دورا كبيرا في توسيع دائرة الخوف عند المرأة، لا من الرّجل (إذ هو يخضع للنموّ البيولوجي مثلها)، و إنّما ممّا يُخبِّئه الدّهر لها مِنْ غيبيات يصعُبُ عليها فكُّ طلاسمها، و هذا ما يجعلها تكتفي بالترقب المستمرّ المكسو بعنصر الغيرة و الحسد لكلّ بنات جِنسها[2] ، باستثناء بناتها على أساس أنّهنّ جزء منها، فهي ترى – عادة – صورتها في صورتهنّ، ممّا يجعلها ترتاح إليهنّ على خلاف انزعاجية أمام نساء أخريات تمتزْنَ عنها بخصال تفتقر إليها.

فظاهرة الخوف من الشّيخوخة عند المرأة ليست مجرّد طبيعة فطريّة شأن ما هي الحال عند الشّاة و إنّما تُعدُّ هذه الظاهرة عند المرأة أكثر تعقيد من مجرّد غريزة الخوف، فهي ظاهرة مركّبة بحيث تجعل من الحياة الزّوجية أمرًا مستحيلا.

---

1 للتوسّع أنظر : أحمد سيّد محمد : المرأة في أدب العقّاد – دار البعث – قسنطينة – الجزائر – د.ت. – ص 152/150.

2 المرجع السابق – ص 53.

و لعلّ هذا ما أكّدته مجموعة من الأمثال الشعبية نذكر منها على سبيل المثال :

" الغيرة اللّي قتلت ميرة "[1] .

" الغْيرَة تْخوَشْ التّغيرة و تْرَدّ الشّارْفَة صْغِيرَة "[2] .

يدلّ هذان المثلان على صفة طبيعية في المرأة ألاَ و هي الغيرة، حتّى أنّها قد تقتل (ميرة) في رأي المثل، و معنى هذا أنّها لا تستطيع مقاومتها، فمكانها عميق و ثابت، و (ميرة) هو اسم قد يُطلق على الحماة: تلك المرأة التي تُحبّ أن تنافس عروس ابنها في كلّ شيء، لكنّها قد تفشل و هذا ما يجعل صفة الغيرة تزداد عندها شيئا فشيئا تُجاه زوجة ابنها و على خلاف ما سبق فإنّ المرأة (الحماة، الأمّ...) لا تتأجّجُ غيرتها تُجاه بناتها مهما كنّ جميلات، بل يزداد تعلُّقها بهنّ لمّا يكنّ جميلات.

على الرغم أنّ هذا لا يعني أنّ الحماة لا تكره أن تكون زوجة ابنها ذميمة، و إنّما هي تقوم – لا شعوريا – بعملية تفريغ و تنفيس عمَّ تُعانيه من آلام الغيرة، و يكون هذا التفريغ عادة في شكل كراهية لزوجة ابنها.

---

1 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 142.

2 مثل متداول في منطقة تلمسان.

كما قد يوصلنا المثلان السابقان إلى تصوير طبيعة العلاقة بين صنفين من الأنوثة في الأسرة، و الذي ينتج عنه خلافات بين العروس و الحماة، و عادة ما يكون الزّوج محور هذا الصّراع، ممّا يجعل دوره يتمثّل في محاولة تهدئة الجوّ، و مسؤوليته موزّعة بين واجب طاعة الأمّ[1] و ضرورة إرضاء الزّوجة، ممّا يجعله يقع فريسة الصّراع الدّائر بينهما، و لا يكاد ينجو من مناوشتهما إلاّ بانحيازه لأحد الطرفين[2] .

كما قد تتوزّع دائرة الصّراع داخل العائلة بين (اللّوسة) أخت الزّوج و زوجة الأخ، وّ ذلك ما يُشخّصه المثل القائل : " اللّوسة سوسة "[3]

ممّا يعني أنّ الصّراع داخل العائلة الممتدّة لا يتوقّف عند حدود الأمّ و زوجة ابنها، و إنّما هو يمتدّ إلى كلّ الإناث اللّواتي يَعِشْنَ داخل العائلة كزوجات الإخوة مثلا. إذْ يقول المثل في هذا النّوع من العلاقة التي تجعل بينهنّ:

" النُّوطة مْعَ النُّوطة كاللّفعة المربوطة "[4] .

---

1 Walther Wiebke : Femme en Islam **P48**

2 للتوسّع أنظر : محمد عاطف غيث : دراسات في الاجتماع القروي – ص 157.

3 مثل يتردّد في منطقة تلمسان.

4 مثل يتردّد في منطقة تلمسان.

و يعني هذا أنّ المرأة بطبيعتها كثيرة الكيد و النّفاق و البهتان، فهي مجبولة – على حدّ قول عبد الرحمان مجدوب – أنْ تجعل الأفعى حزاما و العقربة خلخالا.

بُهْت النْساء بُهْتين مَنْ بُهْتهم جِيتْ هاربْ
يَتْحَزموا بالّفاع و يَتْخلُ بالعَقَاربْ[1]

و على العموم، فإنّ عقدة الغيرة كاملة لدى النِّساء و الرّجال على حدٍّ سواء[2] ، غير أنّ الذّاكرة الشعبية قد احتفظت بما يتعلّق منها بالنِّساء أكثر من احتفاظها بالأمثال التي تخصُّ جنس الذّكر.

و نخرج ممّا سبق إلى معرفة مدى تصدّع العلاقة بين المرأة و محيطها العائلي بسبب ظاهرة الغيرة الّتي تؤدّي إلى تفتيت العائلة من داخلها.

خامسا: العشرة الزّوجيّة (معاملة الزّوج لزوجته).

– احتضنت الأمثال الجزائرية معايير و قواعد، و فرضتها على الأجيال المتعاقبة و التي تخصُّ مرحلة ما بعد الزّواج، حيث

---

1 ديوان سيدي عبد الرحمان مجدوب – ص 6.

2 للتوسّع أنظر : علم النفس الاجتماعي – أوطو كلنبرغ – ص 188.

طرحت جملة من الآراء و الأحكام، و التي تدلُّ على بعض المظاهر السّلوكية القائمة في أواسط الأسر التلمسانية، و لعلّ من أشهرها :

" زَيِّر سنّيك يَرْتَخفُ سنِّيها "[1] .

" علّ كلمْتَكْ تَرْكَعْلك مَرْتَكْ "[2] .

– عند قراءة المثلين يتبيّن لنا وجود قوّة و ضعف، فتعود القوّة على الرّجل و هو الفاعل، و يعود الضّعف على المرأة و هي المنفعلة.

– و قد يُوحي التمثلان بسيطرة النظام الذّكوري و تسلّطه على العائلة، و تصرّفه المطلق في غالبية السلطات : الاقتصادية و الاجتماعية و غيرها[3] .

– و يرجع سبب هذا التّصرف أيضا إلى " أنّ الرّجل يُحسُّ بكيانه و يكتسب تقديرا و احتراما بين أفراد قومه، عندما يفرض

---

1 مثل يتردّد في منطقة تلمسان .

2 مثل يتردّد في منطقة تلمسان .

3 للتوسّع أنظر – محمّد عاطف غيث – المرجع السابق – ص 340/337.

و محمد الأشرم : محاضرات في المجتمع الريفي – جامعة حلب – 1976/1975 – ص 55/49.

كلمته و قوّته على المرأة. كما يُمكن للمرأة أن تضمن حمايتها و تطمئنّ لراحتها إذا ساندها رجل قويٌّ[1] .

و لعلّ هذا السّلوك الغريب عند المرأة راجع إلى " أنّ المرأة مع أنانيتها تشعر بضعف طبيعي غريزي فيها، فهي من النّاحية النّفسانية ترتاح إلى الرّجل القويّ الذي يبسط سلطانه العارم عليها فتستكين إليه لأنّها تشعر بحمايته و رعايته، فهي تُريده ضعيفا و تبغض ضعفه، فهي تجد متعة في التّغلّب عليه، لكنّها تجد حسرة في استسلامه إليها، لأنّ بهذا الاستسلام ينهارُ في قلبها ذلك الحصن الذي كانت تتمتّع بحمايته، و ترتاح إلى قوّته و جبروته "[2] .

غير أنّ استعمال القوّة درجات : فمنهم الرّجل الشّرس الذي يضرب زوجته ضربا مبرحا قد يجعلها طريحة الفِراش[3] ، و منهم الرّجل القويّ الذي يُصحّح زوجته إذا اعوجّت من بعيد متجنّبا الضّرب و الشّتم، لأنّ المودّة و الرّحمة أساس التّفاهم، و ركنا السّعادة[4] ، فبهما

---

1 مجلّة الارشاد – تصدر عن جمعية الاشاد و الصّلاح الوطنية شهريا – العدد 7 – أكتوبر/نوفمبر ص56.

2 أحمد رضا حوحو : مع حمار الحكيم – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1988 – ص 50. و للتوسّع في هذا الموضوع أنظر أيضا : أحمد السيّد محمد : المرأة في أدب العقّاد – ص 97/95.

3 مجلّة الارشاد – تصدر شهريا – العدد 7 – أكتوبر/نوفمبر – 1990 – ص 37.

4 للتوسّع أنظر : مجلّة العربي – عدد 197 – أكتوبر 1993 – ص 57.

تضييء الحياة و تنعم، و تقوى المحبّة و تعزّز أواصر العلاقة الزّوجية، و الهدف منها تكوين أسرة صالحة تنجب أبناء صالحين[1] . أمّا إذا كانت معاملة الزّوج لزوجته قائمة على الضّرب، فلاشكّ أنّه يكون لهذا أثر على العلاقة الزّوجية[2] ، فضلا على الأثر الكبير على أخلاق الأبناء و على نفسيّتهم[3] . و لعلّ لهذه الأسباب دعى الاسلام إلى حسن المعاشرة إذْ قال تعالى:" و من آياته أن خَلَقَ لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون "[4] ، كما ورد في الحديث أيضا :" فاستّوصوا بالنِّساء خَيْرًا "[5] .

إنّ المرأة نعمة في حياة الرجل، فهي مجبولة على القيام بواجبها نحوه، كما هي مجبولة على توفير الراحة و الاطمئنان له، لأن البيت هو المسكن الذي يشعر فيه الزوج بالسعادة و تستكين إليه نفسه.

---

1 للتوسّع أنظر : محمود الأشرم : محاضرات في المجتمع الرّيفي – ص 50/48.

2 كما ورد في الحديث الشريف :" لا يجلدُ أحدكم امرأته جَلدَ العَبدِ، ثمَّ يُجامعُها في آخر اليوم "، رواه البخاري في صحيحه.

3 للتوسّع أنظر : خيرالله عصار : مبادىء علم النفس الاجتماعي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1984 – ص 34/33.

4 سورة الرّوم – الآية 21.

5 رواه البخاري في صحيحه.

و ها هو عبد الرحمن المجدوب يستسلم للمرأة و يعلن حبّه لها قائلا :

حبيبي إذا غضب ما صبت له طب　　بعد المحبّة جْفَانِي
نْجيبْ القهوة و نصبْ　　و نْحَدْتَهْ بِالمْعَانِي[1]

إنّ المرأة خير أليف و أنيس، فمعها تطيب الحياة و تسعد، و خير ما نستدلّ به قول سقرّاط :" تزوّج يا بُنَيّ. تزوّج. فإذا ظفرت بزوجٍ فاضلة فأنت رجل سعيد، و إذا كانت غير فاضلة صِرت فيلسوفا و هذا نعمة لكلّ رجل "[2] .

و نستخلص من هذا القول أنّ سقراط يعترف بأنّ المرأة كيفما كانت فاضلة أو غير فاضلة فهي ضرورية في حياة الرجل.

و لكي تطيب الخياة و تنعم يجب على الزوج أن يصبر على زوجته إذا رأى منها بعض ما لا يُعجبه، كما يجب عليها هي أيضا أن تتحمّل مساوئه عملا بالمثل الشعبي التالي :" إلا شَفْتهم متفاهمين، قُل الدّرْكْ على واحد "[3]

---

1 عبد الرحمن المجدوب – الدّيوان – ص 09.

2 مجلة العربي – عدد 282 – ماي 1982 – ص 133.

3 مثل يتردّد بمنطقة تلمسان.

فالزواج مهمّة صعبة و مشروع قابل للنجاح كما هو قابل للفشل. و نجاحه أو فشله يتوقّف على سلوك الزوجين.

و نصل من كلّ ما سبق إلى أنّ لأسلوب استعمال القوّة و العنف اتّجاه المرأة ثلاثة أبعاد :

– يعود الأوّل على الجانب الفزيولوجي : إذْ يُريد الرّجل أن يتحقّق من مدى قوّته استنادًا بالمرجعية العرفية عند العائلة التقليدية المستوحى من تأويل الآية الكريمة :" الرّجال قوّامون على النِّساء "[1] .

– و يعود الثاني على الجانب النّفسي : لكون الرّجل يجد متعة و إرتياحا، كما قد تجد المرأة نفسها هذا الإرتياح في سيطرة زوجها و تصدره لمسؤولية البيت[2].

– و يعود الثالث على الجانب الاجتماعي الذي تفرضه العادات و التقاليد التي تحكم العائلة التقليدية التي تُعطي الرّجل دور الرّيادة في تسيير زمام أمور أسرته3 .

و في الحقيقة، إنّ معاملة المرأة ليس بفرض السيطرة و العنف و إنّما باللّين و الرّفق لأنّ الكثير من النِّساء عشنَ عليلات النّفس و

---

1 سورة النِّساء – الآية 34.

2 للتوسّع أنظر : أحمد رضا حوحو : مع حمار الحكيم – ص 50.

3 للتوسّع أنظر : محمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع – ص 154.

الجسم و لم يذُقن شيئا من سعادة الحياة الزّوجية بسبب قساوة و غطرسة الرّجل.

سادسا : المرأة الزوجة و المجتمع

الزّواج مهمّة عائلية تقوم على عاتق الزّوج و الزّوجة، فهما مطالبان بتأدية واجبهما كما هو مفروض عليهما، و الذاكرة الشعبية تزخر بالكثير من أقوالها، و لعلّ من أشهرها تردّدا على الألسنة :

" قمْ و لاّ طلّق "[1]

" الزّواج مَشْ سَاهَل "[2]

يدلّ هذان المثلان على صرامة النظرة الشعبية إلى موضوع بناء الأسرة، فالزوّاج مسؤولية كبيرة تدعو الرجل إلى توفير الأسباب لبناء أسرته، فالزّواج ليس إشباع غرائز في نطاق الزواج فقط، بل هو إطار ثقافي يصعب على الرجل أن يمرّ كرجل من طبيعته الفطرية إلى دوره الإجتماعي – الذي ينصّ عليه العرف – كنائب عن المرأة و عن أولاده[3] .

---

1 مثل متردد بمنطقة تلمسان.

2 مثل متردد بمنطقة تلمسان.

3 للتوسّع : أنظر فوزية العطية : المرأة و التغيّر الاجتماعي في الوطن العربي – بغداد – 1983.

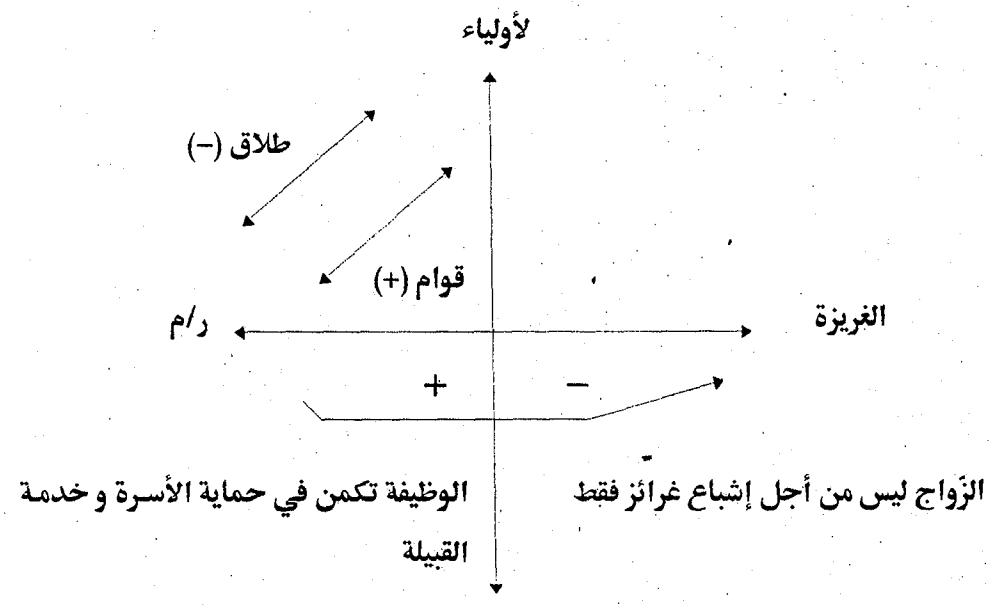

و نخلص من هذا كله إلى أنّ رسالة (مسؤولية) الرجل تكمن في السّعي لتأمين الرزق و النهوض بأعباء المجتمع، فهو أقدر من المرأة على القيام بهذه الشؤون إذ هو المعيل، أمّا المرأة فمهامها يتمثّل في الانجاب و تربية الأولاد و العناية بشؤون البيت.

و ما نستخلصه من المثلين السابقين هو أنّ الطلاق حلّ لمن عجز عن تأدية واجبه، و القيام بمسؤوليته، فلا مجال للتلاعب أو التساهل في مسؤولية التكفّل بالعائلة.

لكن ليس الرجل وحده هو المسؤول، بل كذلك المرأة. و تتمثّل مسؤولياتها في حسن التدبير و التسيير، فمن واجبها أن تحافظ على

الاندماج الشكلي و المعنوي، فأدوارها كثيرة و متنوّعة، خاصة و أنّها تعيش بين عدد كبير من الأفراد[1].

و تقول الأمثال التالية :

" الخِيرْ مْرا و الشّرْ مْرَا "[2]

" المْرا تَخْلي و المْرا تعمّر "[3]

و قول عبد الرحمن المجدوب :

" وَحْدة تْجيبْ الخيرْ مْعَها واحدى تطرّدُه بَعْمُود[4]

مفهوم هذه الأقوال أنّ للمرأة أدوارا هامة، إنّها قد تكون سببا في سعادة بيتها أو في شقائه إمّا بفضائلها أو مساوئها.

فالمدلول هو أنّ الحسن و السيّء يترتّبان عن المرأة

---

1 للتوسّع أنظر:- Mostafa BOUTEFNOUCHET -La Famille Algérienne Alger - p 71-72

2 قادة بوتارن – المرجع السابق – ص 150.

3 مثل متردّد بمنطقة تلمسان .

4 نور الدين عبد القادر : القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب – المطبعة الثعالبية – الجزائر – ص 38.

الخير ← التعمير

الشر ← الخلاء

محتوى المثل يركّز على المرأة دون سواها، و يشير إلى أهميّة دورها و مكانتها في الأسرة و المجتمع، و يجعل فيها الخير كلّه أو الشرّ كلّه.

فهي منبع الخير و الفلاح إذا كانت خيِّرة صالحة، كما أنّ انحرافها و إهمالها يمكن أن يصيب أهلها و ذويها، و في هذه الحالة يفشل الزّواج، و تنهار الأسرة فيحدث الطلاق. و ما يؤكّد هذا ما جاء في نظرية المثل التالي :

" قصاصْ و لنصَاصْ و لاّ بدّل لعْتابِي[1]

يتكوّن هذا المثل من عنصرين : **الأوّل** : جملة الشرط و **الثانية** جواب الشرط، كما نلمس أيضا نوعا من التهديد و التخويف، و مدلول هذا المثل هو إمّا أن تتجاوب هذه المرأة مع متطلّبات الرجل، أي أن تكون مصدر سعادته و إمّا تطلّق.

و معنى هذا أنّ السعادة من حقّ الرّجل فقط. و قد خُلقت المرأة لتسعده فقط لأنّه إذا لم يجدها في زوجته فلا بدّ أنّه يعيد الزّواج مرّات إلى أن يصل إلى ما يرضيه.

و معنى السعادة في هذا المثل هو جلب الخير و المنفعة و المحافظة على الاندماج الأسري.

---

1 مثل متداول في منطقة تلمسان.

كما يمكن تحليل هذا المثل على الشكل التالي :

قْصاصْ ← الجمال

لَنْصاص ← المال

بدّل لعتابي ← الطلاق

فإرادة الرّجل في الزّواج – في هذا المثل – تكون طبقا لغريزته، و غريزته تبقى عقلانية لأنّه يُمكن أن يُعيد الزواج ما دامه مبنيا على أساس الجمال و المال، و في غياب هذين العنصرين غير الدائمين تبقى العملية مهدّدة[1].

نستخلص من الأمثال السابقة مايلي :

1- الزّواج يتطلّب حسن الاختيار : أي أنّ الزّواج عملية صعبة، تتطلّب وقتا كبيرا لدراسة سلوك المرأة المرغوب فيها.

2- حريّة الرجل في إعادة الزّواج : إذا فشل الزّواج الأول، يمكن إعادته إلى أن يصل إلى تحقيق سعادته.

---

1 للتوسّع أنظر قاسم أمين : تحرير المرأة – ص 130.

الخاتمة

و في نهاية المطاف، تبيّن لنا أنّ هناك أمثالا عامية متداولة بين أفراد المجتمع الجزائري في أحاديثه، و معاملاته اليومية. كما أنّها تحملُ في ثناياها عُصارة تجارب الأجيال المتعاقبة، و قيمها الاجتماعية المتعارف عليها، و ما حرصُ أفراد المجتمع على تداولها إلاّ دلالة على أنّ لها وظائف معيَّنة تؤدِّيها، و حيِّزًا مُحدّدًا تحتلُّه في حياة النّاس اليومية.

هذا بالاضافة إلى طابعها التّركيبي الجميل الذي يجعل المتلقِّي أُذُنًا صاغية.

و قد توصّلنا أيضا – في ضوء ما تحمله الأمثال الشعبية – إلى أنّ الزّواج مشروع اجتماعي له عاداته و تقاليده، و أعرافه التي تتناقلها الأمثال الشعبية مجسّدة بذلك ضرورة أو (حتمية) المحافظة على ما تتضمّنه هذه الأمثال من قواعد و أحكام صارت مع مرور الزّمن مَنهَجًا تتّبعُه الأسرُ عند إقبالها على مشروع الزّواج في الجزائر عموما، و في منطقة تلمسان خصوصًا.

كما توصّلنا إلى أنّ الزّواج ليس مجرّد استجابة لعملية بيولوجية تتطلّبها الغريزة الجنسية، و لا مجرّد عملية شرعية يشترطها العرف الدِّيني، و إنّما هو مشروع اجتماعي ذو أبعادٍ ثقافية و اقتصادية و نفسية.

و تكمن قواعد الزّواج – في مضامين المثل الشعبي – في كيفية تحقيق الإزدواج الطّبيعي بين الرّجل و المرأة مع مراعاة أحكام العلاقة التي تربط بينهما. و يُعدُّ المثل صورة مجسّدة لخصوصيات

مراحل مشروع الزّواج (تَشخيص المثل لمجمل الشروط التي ينبغي مُراعاتها قبل و في أثناء الزّواج).

كما تجلّى لنا أنّ البنية الفنيّة لأسلوب المثل تتنوّع بتنوّع المواقف و الموضوعات المطروحة في ميدان الزّواج، و هي تتراوح بين الوعظ و الإرشاد و التحذير و الترغيب و الترهيب... ممّا جعلها تحتلّ عناية خاصة في الوُسط الاجتماعي.

و ممّا تجدُرُ الإشارة إليه أيضا، وجود ترابط حميميّ بين قواعد الزّواج بمنطقة تلمسانّ و تعاليم الشّريعة الاسلامية، و هذا ما يدلّ على حرص العائلة التلمسانية عموما و الرِّيفية خصوصا على التزامها بالطّابع الاسلامي لعملية مشروع الزّواج.

كما استخلصنا أيضا أنّ العائلة بهذه المنطقة نوعان :

الأولى : محافظة لأنّها لا تُراعي في غالب الأحيان المستجدّات التي تطرأُ على الحياة اليومية للعائلة، ممّا يعني أنّها لا تتفاعل بسهولة مع ظاهرة التغيّرات الاجتماعية النّاتجة عن التحوّلات الثقافية في المجتمع عموما.

الثانية : المتفتّحة على متغيّرات مجرى الحياة اليومية للمجتمع عِلمًا بأنّها لا تريد أنْ تتخلّى عن موروثاتها.

و أخيرا، يُمكن القول إنّ الأبعاد الدّلالية التي توصّلنا إليها من خلال استنطاق الأمثال و تحليلها و التي حاولنا إبرازها و بلورتها تبقى قابلة للتحليل و التشريح، إذْ تظلُّ الأمثال تَشِعُّ بدلالات غنيّة لا يمكن حصرها في بُعْدٍ واحدٍ ممّا يجعل قابلية إعادة النّظر في مضامينها

مفتوحا أمام كل باحث يطمح إلى استجلاء ما يختفي داخلها من دلالات و معاني تصبُّ في ميادين اجتماعية كثيرة.

ملحق الأمثال

1." وِينْ بِهَا يَا عَاصِي الوَالَدِينْ "

2." الزّواج ما يكون إلاّ بالرّضا، و الحرث ما يكون إلاّ بالرّوا "

3." خُذْ بَنْتْ الحَسْبْ و النّسَبْ "

4." السلالة سلالة و العرق جبّاد"

5." اللّي يْشُوفْ الفُوقْ يَتْعَبْ "

6." الدار كبيرة و المال غواني و الجوع فيها يقطّع مصراني "

7." اللّي مَدّ بَنْتُ علَى ألمال يْموت مذلول "

8." اللّي يْتزوّجها علْى مَالْها يْموتْ فْقِيرْ و اللّي يْتزوّجها علْى رْجالْها يْموتْ حقِيرْ و اللّي يْتزوّجها علْى جْمالْها يْحَبَّهْ رَبِّي و النبِي لَبْشيرْ "

9." متشوفش للنخل شف للدّخل "

10." شبوب الرّجال فعقولها و عقول النسا فشبوبها "

11." شاطرة و مولات ذراع "

12." الزّينْ فالدّفلى وْ يْبَاتْ برّا "

13." مولات الدّراع الوافي ما تحافي "

14." ما سبَّعْت ما ربَّعْت "

15." الحنّة فاظفارها و الخطُار جابت خبارها "

16." بَنْتْ الزّنْقة مَا دِير الدّار "

17." بَنْت لَخْلاَ ما تْعمّرْ "

18." الخلطة تْخسّرْ "

19." يدّْ وحدْها مـا تْصفّقْ "

20." المعاونة فالنّصارة وْلاَ لْقعَادْ في الخسارة "

21." خُذها صغيره اطّيعك "

22." خذها صْغيرة تْربّيها على يدّكْ "

23." زوّج البنت صغيرة تْعيش مهنّي "

24." بكّرْ لحاجتكْ قْضيهّا، و تْصنّت للفال، بنتَكْ قْبَلْ الصُّومْ أعْطيهَا، قْبَل لا يَكْثرْ القِيلْ و القالْ فيها "

25." زوّج الولد صغير تعيش مهنّي "

26." زواج لبدة تفتاشُ عام و زواج ليلة تفتاشُ نهار "

27." فَالزّواج التّدْبير عَامْ "

28." فَالزّواج التّدْبير سنَة و القَطْعْ سَاعَة "

29.سبّقْ الحْطَبْ قبلْ ما يَخْطُبْ "

30." الحْدَايدْ للشّدَايدْ "

31." البَنْتْ احْبَاتْ شُوفْ يمّها أَسَمْ خبّاتْ "

32." سلّح بَنْتَكْ و خرّجْها قدّامْ النّاسْ "

33." أعطيني بنتك و هاك كْذَا و كْذَا هَاكْ عوْلَتْهَا و هنّيني منّها "

34." اَلْهْنَى يَضْمَنْ الغْنَى "

35." المرَا الصّالْحَة تْجِيبْ الذُرِيَّة الصَّالْحة "

36." " قْلَبْ القَدْرَة علَى فَمَّهَا تَشْبَه البَنْت أمَّهَا "

37." اللّي ما رِبَّاتو يَمَّاه مَا يْرَبِّيوَهْ النَّاسْ "

38." الطّفلة اللّي ما تغربل دقيقها ترجع على طريقها "

39.اللّي وْلَدْ مَا مَاتْ "

40." شَفْت الخَيْل، بْغِيتْ الرْكُوبْ، شَفْتْ النْسا بْغِيتْ النْجُوبْ "

41." المرَا بْلاَ وْلاد كالمُظَلَّة بْلاَ عْمَاد "

42." الوَلْد عْمَارة "

43.المْعيزْ خَير من الفْقَر وْ البَنْت خَيرْ من العْقَر "

44.اللّي مَا عَنْدُ لَبْنَاتْ مَا عَرْفُوهْ فَاينْ مَات "

45.اللّي مَا عَنْدُ لَبْنَاتْ مَا عَرْفُوهْ بَاشْ مَات "

46." مْيَاتْ زْوَاجْ وْ لاَ مَعْصِية "

47.اللّي كْثَرْ مَالُو يَبْنِي وْ لاَّ يَتْزوَّجْ "

48.الرّبيبْ عُلَّة "

49.لوْ كَانْ النَّعْجَة تَسْرَحْ مْعَ الدِّيبْ حتَّى مَرْت البُو تَبْغِي الرّبيب "

50." زِيتْنَا فِي بِيتْنَا "

51." مَلَّس من طِينكْ يَسْجَى لَكْ "

52." خـذ الطّريق الصّحيحة و لو دارت "

53." وْ خُـذْ بَنْت العَـمْ وْ لَوْ بَارَتْ "

54." تْزوَّجْ المْرَا البْعِيدة، و احْرثْ الأرْضْ القْرِيبَة "

55." وِينْ دمَّك، وِينْ همّك "

56." الأقارَبْ كالعقارَبْ "

57." علْيكْ بالسَّانية القريبة و المْرَا الغْريبة "

58." النُّوطة مْعَ النُّوطة كاللّفعة المربوطة "

59." النُّوطة مْعَ النُّوطة فْي المَجْرى مَشْلُوطَة "

60." الشْرِيكة هْليكة "

61." شَمسْ لَغْيامْ يَخرَّجْ النْسا منْ الخْيامْ "

62." خلاَّتْ رَجلْها مَمْدودْ و مْشَاتْ تْطلْ على مَحْمُودْ "

63." إلا مدِّيتْ كراعْي نْجيبْ راعِ "

64." الحيا يْولَّد لْفروخَة "

65." الحنّة فاظفارها و النَّاسْ جابَتْ خْبَارْها "

66." بَنْتْ الزَّنْقة ما دِّيرْ الدّار "

67." الاسْم عَالِي و الرْكنْ خَالِي "

68." ظاهر المِرَا جَنَّة و باطنْهَا جهنَّمْ "

69." لَمْرَا نارْ إلاَ غْفَلْتْ تحَرَّقْكْ "

70." إلاَ حَلْفُ فيكْ الرّجال باتْ راقَدْ و إلاَ حَلْفْ فيك النْسَا بَـاتْ قاعدْ "

71." النْسَا بقرات ابْليسْ "

72." كُلّ مْـرَا وْ مَجَّمْرة "

73." المْـرَا لَـفْعَى "

74." سَمَّهمْ يْتبَارَقْ تَحْت لَعْبَارَقْ "

75." المْرَا تْخَافْ مْن الشّيب قَدْ ما تْخَافْ النَّعجة من الذِّيبْ "

76." الغيرة اللّي قتلت ميرة "

77." الغيرة تخوَشْ التّـغيِرة و تْـرَدّ الشّارْفَة صـغْـيرَة "

78." زَيِّر سنّيك يَرْتَخفُ سَنِّيها "

79." علِّي كَلمْتكْ تَرْكَعْلَك مَرْتَكْ "

80." البنت بَنْت امّـهَا تْعمَّرْها و لاَّ تَخليها "

81." اللّحمْ إلاَ خْنَزْ يَرْفدُوه أَمَّليه "

82." اللّوسة سُـوسَة "

83." الخُـو خُـو مَرْتـه و الهْبِيلة خْـتَـه "

84." حْدِيثْ الوْسَـادَة يْتَلَّفْ الدِّينْ و الشْهَادَة "

85." المْـرا و الرْيـاطْ، تستّهلْ الصـيْـاطْ "

86." المْرَا نَارْ تَطْفِيها بَاشْ مَا كَانْ "

87." شُوفْ بِيتْها و اخْطبْ بَنْتْها "

88." دُورْ مْعَ العَوْدَة و اشْـرِي بَنْتْها "

89." لا تَخْطُبْ البَنْتْ حتَّى تْشُوفْ أمَّها "

90." العَاتَقْ الوْنِيسَة تْعَزِّي و تْهَنِّي النْفِيسَة "

91." اللِّي بَاعْ أرْضُه بَاعْ عَرضُه "

92."الضّرب ما يربِّي"

93." اللّي مْربِّي منْ عَنْد رَبِّي "

94." هَيَّبْ لا تْعَيَّبْ "

أقوال

عبد الرحمن مجدوب

اَحْـنَ النْسـا عرْشْ تفّـاحْ — مـنْ شَـدْنَا نْجِيوا في يـدُه
إذا غَابُـوا علِـينـا اثنين — مـــا زال الـثـالث نْـزيـده
بْعَيْتي شَفْتْ لَـفْقيرَة تْصلّي — وْ سَبَّحَتْها فـوق لَحْصيره
هـــي تَخـدَعْ فَـرَجـلْـهـــا — وْ هُـوَ يْقُول مْراتِ فْقِيره

لا يْعجبك نوّار الدّفلّى — في الواد داير الظلايل
و لا يْعجبك زين الطفلة — حتّى تـشوف الـفعايل

كـيْد الـنْـسا كـيْديْـن — و من كيْدهُمْ يَا حزونِي
راكبة علَى ظْهَرْ السْبع — و تْقول الحْـدَ يَـا كْلُونـي

بُهْت الـنْساء بُهْتين — مَنْ بُهْتهم جِيتْ هاربْ
يَتْحَزموا بالّـفاع — و يَتْخـلُّ بـالعَـقَـاربْ

وَحْدة تْجيبْ الخيرْ مْعَها — واحدى تطرّدُه بَعْمُود

نوصّيك يا حارث الدُّوم و الدُّوم كثروا نفاعه،
و الدَّم ما ينفعْ الدَّمْ يا ويحْ من خانته ذراعه

حُبّ النْساء كالحِنَّا في الحينْ يَفسخْ لْبَاسُه

حبيبي إذا غضب ما صبت له طب بعد المحبّة جْفَانِي
نْجيبْ القهوة و نصبْ و نْحَدّثَهْ بِالمْعَانِي

الآيات الكريمة

" أَمِ اتَّخَذَ ممَّا يَخْلِقُ بَناتٍ و اصفاكُمْ بالبنين. و إِذَا بُشِّرَ أحدُكمْ بمَا ضرَبَ الرّحمان مثلا ظلَّ وجهه مسْوَدًّا و هو كظيم "

الزخرف 16-17.

" يهبُ لمن إناثا و يهبُ لمن يشاء الذّكور أو يزوّجهم ذكرانا و إناثا و يجعل من يشاء عقيما إنّه عليم قدير "

الشورى: 49- 50.

" زيّن للناس حبّ الشهوات من النِّساء و البنين و القناطير المُقنطرة من الذّهبِ و الفِضّةو الخيل المسوّمة من الأنعام و الحرث ذلك متاع الحياة الدنيا "

آل عمران : 14.

" و آتوا صدقاتهنّ نِحلَةً، فإنْ طِبنَ لكمْ عَنْ شيءٍ منه منسًا فَكُلُوهُ هنيئًا مرِيئًا "

النساء : 4

" يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين فإن كنّ نساءًا فوق اثنتين فلهنّ ثُلثَا ما ترك و إن كانت واحدة فلها النِّصف ..."

النّساء : 11.

" و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النّساء و لو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة و إن تُصلِحوا و تتّقوا فإنّ اللّه كان غفورا رحيما " - النّساء : 129.

" قال ربِّ السّجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه و إلاّ تصرف عنّي كيدهنّ أصبُ إليهنّ و أكن من الجاهلين "

يوسف : 33.

" و إن خِفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النِّساء مثنى و ثُلاث و رُباع فإن خِفتم ألاّ تعدِلوا فواحدة أو ما ملَكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعدِلوا "

النِّساء : 3.

" يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى، و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ..."

الحجرات : 13.

" و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدةً و رزقَكم من الطيِّبات "

النحل : 72.

الأحاديث النبوية

" من تزوّج امرأة لعزّها لم يزده الله إلاّ ذلاّ، و من تزوّجها لما لها لم يزده الله إلاّ فقرا، و من تزوّجها لحسبها لم يزده الله إلاّ دناءة، و من تزوّج امرأة لم يَرِدْ بها إلاّ أن يغضّ بِبصره و يَحصن فرجه، أو يظلّ رحِمه، بارك الله له فيها و بارك لها فيه "

رواه البخاري

" " ما استفاد المؤمن بعدِ تقوى الله خيرا لَهُ من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته و إن نظر إليها سرّته، و إن أقسم عليها أبرته و إنْ غاب عنها صنته في نفسها و ماله "

رواه ابن ماجة

" الدنيا متاع و خير متاعها المرِة الصالحة "

" فاستوصوا بالنساء خيرا "

رواه البخاري

" " تُنكح المرأة لأربع : لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها، فاظفر بذات الدّين تَربت يَدَاكَ "

" من أراد منكم الباءة فليتزوّج فإنّه أغضن للبصر و أحصن للفرج "

" تزوّج و لو بخاتم من حديد "

" لا يجلدُ أحدكم امرأته جلدَ العبدِ، ثمَّ يُجامعْها في آخر اليوم "

رواه البخـــاري فـــي صحيحه.

قائمة

المراجع و المصادر

المراجع

باللغة العربية

1- ابن خلدون - المقدّمة : كتاب الخبر و ديوان المبتدإ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر - الدّار التّونسية للنشر - 1984 .

2- محمد الأشرم : محاضرات في المجتمع الرّيفي - جامعة حلب - 1976/1975 .

3- قاسم أمين : تحرير المرأة - موفم للنسر - الجزائر 1990 .

4- أحمد أوزي : الطّفل و المجتمع، دراسة نفسية و اجتماعية لصورة الطّفل المغربي من خلال الرّواية - مطبعة النّجاح الجديدة - الدّار البيضاء - ط 1 - 1988 .

5- كلنبرغ أوطو : علم النفس الاجتماعي - ترجمة حافظ الجمالي - مكتبة الحياة - بيروت - 1967.

6- حليم بركات : النظام الاجتماعي و علاقته بمشكلة المرأة العربيّة - ط 1 - بيروت - 1982.

7- مالك بن نبيّ : ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية - تر. عبد الصبور شاهين - ج 1 - دار الفكر - دمشق - ط 2 - 1974.

8- أحمد بن نعمان : سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتربولوجيا النفسية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1988.

9- قادة بوتارن - الأمثال الشّعبية الجزائريّة - ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر -1987.

10- مصطفى بوتفنوشت : العائلة الجزائرية - ترجمة أحمد دمري - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1984.

11- عبد القادر جغلول : المرأة الجزائرية - ط 1 - دار الحداثة - لبنان - 1983.

12- سعد جلال : علم النّفس الاجتماعي - منشأة المعارف - الاسكندرية - ط 2 - 1984.

13- أحمد رضا حوحو : مع حمار الحكيم - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1988 .

14- عبد الحميد خزار : فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الاسلام - ط 2 - الجزائر - 1987.

15- فوزية دياب : القيم و العادات الاجتماعية - دار النهضة للطّباعة و انشر - بيروت - 1980.

16- محمد رياض : الانسان دراسة في النّوع و الحضارة - دار النهضة العربية للطّباعة و النشر - بيروت .

17- محمد مصطفى زيدان : السّلوك الاجتماعي للفرد و أصول الارشاد النفسي - مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد و أولاده - القهرة - 1965.

18- السيّد سابق : فقه السنّة - المجلد الثاني - الطبعة الرابعة - 1983.

19- محمد السويدي : مقدّمة في دراسة المجتمع الجزائري - تحليل سوسيولوجي لأهمّ مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر - ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون - الجزائر - د.ت.

20- أحمد محمد السيّد : المرأة في أدب العقّاد - دار البعث - قسنطينة - الجزائر - د.ت.

21- ابو القاسم الشّابي : الخيال الشعري عند العرب - الدّار التونسية للنشر - د.ت.

22- شايف عكاشة : مدخل إلى عالم المنهج الاسلامي، قراءة في القرآن و الإنجيل و التوراة، النّهي عن المنكر - الجزء الثاني - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1993.

23- " هشام شرابي : مقدّمات لدراسة المجتمع العربي - سلوكنا الاجتماعي و بنية العائلة في المجتمع العربي - الاتكالية - العجز - التهرّب - الوعي و التغيير للإنسان العربي و التحدّي الحضاري - المثقف العربي و المستقبل - الطبعة الثانية - 1975.

24- محمد شقرة : المجتمع الرباني - المكتبة الاسلامسة - عمّان - الأردن - الطبعة الثانية - 1991.

25- نور الدّين طوالبي : إشكالية المقدّس - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - د.ت.

26- لطفي عبد الحميد: علم الاجتماع - دار النهضة العربية للطّباعة و النشر - بيروت - 1981 .

27- سعد عبد العزيز : الزّواج و الطّلاق في قانون الأسرة الجزائرية - ط 1 - للطباعة و النشر - قسنطينة - 1986 .

28- نور الدين عبد القادر - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان مجدوب - المطبعة الثعالبية بالجزائر - بدون تاريخ .

29- نور الدّين عتر : ماذا عن المرأة ؟ - الطبعة الرّابعة مزيدة - دار الفكر - دمشق - 1981.

30- خير الله عصار : مبادىء علم النفس - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1984.

31- فوزية العطية - المرأة و التّغيير الاجتماعي في الوطن العربي . معهد البحوث و الدّراسات العربيّة ببغداد - قسم البحوث العلمية - 1983.

32- عباس محمود العقاد : بين الكتب و الناس - دار الفكر - القاهرة - 1978.

33- عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة - الاسلاميات - المجلد الثامن - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 1 - 1975.

34- محمد عاطف غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي - دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت.

35- سيموند فرويد : معالم التّحليل النفسي - ترجمة محمد عثمان نجاتي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986.

36- جبر محمود الفضيلات : بناء الأسرة المسلمة - على ضوء الفقه و القانون - دار الشهاب للطباعة و النشر - باتنة - الجزائر 1987.

37- صلاح مصطفى الغوّال : علم الاجتماع البدوي - تقديم أحمد محمّد خليفة - دار النّهضة العربية - القاهرة - 1974.

38- عمر رضا كحّالة : سلسلة بحوث اجتماعية : الزّواج - ج 1 - سوريا - 1984.

39- عمر رضا كحّالة : النسل - الحمال - جولة في ربوع التربية - سوريا.

40- مسعورة كمال : مشكلة الطّلاق في المجتمع الجزائري - ديوان المطبوعات الجامعية - 1986.

41- عبد الرحمان مجدوب - ديوان - دار إحياء العلوم - الدار البيضاء - المغرب - د.ت.

42- عليّ سليمان محمد : نظرات قانونية مختلفة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1994.

43- عبد الملك مرتاض : الأمثال الزّراعية - دراسة تشريحية لسبعة و عشرين مثلا شعبيا و جزائريا - الجزائر - 1987.

44- عبد المالك مرتاض:الأمثال الشعبية الجزائرية -ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائري - 1982.

45- عبد المالك مرتاض - عناصر التراث الشعبي في "اللاّز" دراسة في المعتقدات و الأمثال الشعبية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - د.ت.

46- عاطف وصفي : الأنتربولوجيا الاجتماعية - دار النهضة للطباعة و النشر - بيروت - ط 3 - 1981.

47- عاطف وصفي : الأنتربولوجيا الثقافية - دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت - 1971.

الدوريات

1- مجلّة الارشاد - تصدر عن جمعية الارشاد و الصّلاح الوطنية شهريا - العدد 7 - أكتوبر/نوفمبر - 1990.

2- مجلّة التربية - العدد 8 مارس 95 .

3- مجلّة الثقافة - الجزائر - 1980 - ع 56.

4- الثقافة الشعبية : مجلة تُعنى بمواد التراث الشعبي - تصدر عن معهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان - ع 2 - 1415 هـ.

5- مجلة العربي - ع 179 - أكتوبر 1993.

الرسائل الجامعية

1- الطّاهر أحساين : الوظيفة التربوية في الأمثال العامية الجزائرية - رسالة لنيل شهادة الماجستير - معهد الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان - 1994 م.

2- محمد بشير : بحث في أبعاد الثقافة العمالية لدى عمّال المؤسسة الوطنية للصناعات النسيجية (مركب الحرير بتلمسان) - رسالة لنيل شهادة الماجستير - معهد الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان - 1991-1992.

3- ميلود بلبشير : الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان مجدوب - رسالة لنيل شهادة الماجستير - مكتبة معهد الثقافة الشعبية - تلمسان.

4- فتح الله بن عبد الله : المثل الشعبي في منطقة تلمسان - جمع و دراسة فنية - رسالة لنيل شهادة الماجستير - مكتبة معهد الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان - 1994/1995.

5- عمر ديدي : العرف كمصدر للقانون و الثقافة - رسالة لنيل شهادة الماجستير - مكتبة معهد الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان - 1994/1995.

6- نادية رابية - المسكن و العائلة بعد زواج الأبناء - دراسة ميدانيّة لمنطقتين حضرتين : منطقة مون بليزان (بوفريزي) - رسالة لنيل شهادة الماجستير - معهد علم الاجتماع - الجزائر - 1990/1991.

المراجع

باللغة الأجنبية

1- Ghouti Benmella: Le droit Algérien de la famille - Alger.

2- Pierre Bourdieu: Sociologie de l'Algérie - Que-sais-je ? n° 802 - Paris - 1974.

3- La Bruyère « لابرويير » : Les caractères - Ed. Garnier Flammarion - Paris -1965. 4- Chaulet (CL) : La terre, les Frères et l'Argent - Tome 1 - Alger - OPU - 1987.

5- Conte Henry de Castries : Les Gromes de Sidi Abderrahmane El-Mejdoub - ERNEST - Le Roux Editeur - Paris - 1996.

6- Chafika Dif Mahouf : Collection El Moujtama : Fonction de la dot dans la cité algérienne - le cas d'une ville moyenne - Tlemcen et son hawz - Alger - OPU- 1984.

7- Femme, Famille et Société en Algérie - Collectif - URA-SC - 1988.

8- Sigmud Freud : Introduction à la psychanalyse - traduit de l'Allemand par S. Jankélévich - 1994.

9- Ali Kouaouci : Familles, Femmes et contraception - contribution à une étude sociologique de la famille algérienne - Alger - CENEAP - PNUAP - 1992.

10- Fatima Mernissi : Sexe, Idiologie, Islam - traduit de l'Anglais par Dianne Brower et Anne Marie Pelletin - Ed. tièrce - 1983.

11- Walther Wiebke : Femme en Islam - traduit de l'Allemand par Madelaine Malefant - Paris - Sindbad - 1981.